

العنوان :

إشكالية المنهج في العلوم
الإنسانية الإبتيمولوجيا
البرغسونية "أمونجا"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إشراف الدكتورة:

خيرة بورنان.

إعداد الطالبة:

خديجة حوش .

السنة الجامعية: 2018 - 2019

سأذكرها وأحسبها فإني دأبت سرّاً مع سرّياتك

الحمد لله

الفضل لله - سبحانه وتعالى- أولاً أن هداني ويسر لي سبيل البحث والجهد
لإنجاز هذا العمل، كما لا يسعني إلا أن أخص بأسمى عبارات الشكر
والتقدير الأستاذة المشرفة خيرة بونان لما قدمته من جهد ومعرفة طيبة
انجاز هذا العمل.

والشكر موصول أيضاً إلى أعضاء لجنة المناقشة اللذين حملوا على عاتقهم
تقويم مذكرتي وتصحيح ما فيها من هفوات .

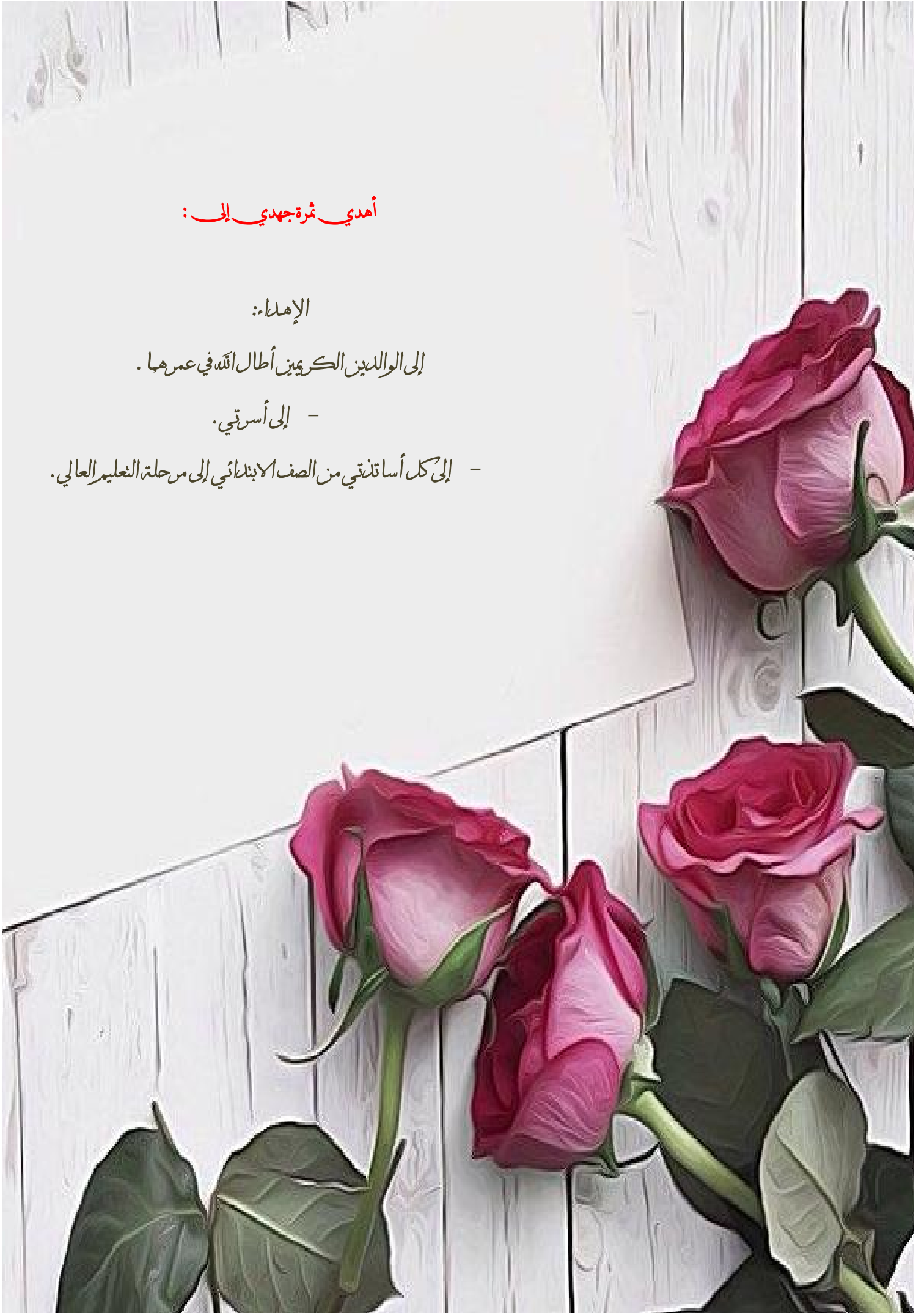
أهدي ثمرة جهدي إلى:

الإهداء:

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما .

- إلى أسرتي .

- إلى كل أساتذتي من الصف الابتدائي إلى مرحلة التعليم العالي .





مقدمة

بعدها كانت الفلسفة تهتم بالطبيعة وتبحث عن الوجود وأصوله، أصبحت ترتبط بالإنسان وحياته وما يرتبط به من مشكلات والهدف من ذلك هو بلوغ الحقيقة التي اتخذ من أجلها وسائل وطرق متعددة ومتنوعة منذ القدم حتى عصرنا الحالي.

والصراع والخلاف الذي نشأ حول الحقيقة راجع إلى تعدد الرؤى والمناهج المستخدمة في مقارباتها كما يرجع ذلك إلى اختلاف الموضوعات من حيث طبيعتها نظرا لتمييز الظاهرة الجامدة عن الظاهرة الحية وتميز الظواهر المادية عموما عن الظاهرة الإنسانية فيؤدي هذا التمييز إلى طرح مشكلة المنهج الأمثل لبلوغ الحقيقة المنشودة.

كان المنهج الاستنباطي في العلوم الرياضية والمنهج الاستقرائي في العلوم الطبيعية قد بلغ ذروة نضجه وهو ما وضع العلوم التي تدرس الإنسان أمام خيارين: إما أن تجد لنفسها منهجا يلائم طبيعتها وإما أن تحاول تبني هاذين المنهجين، لكن في كلتا الحالتين لم تكن النتائج مرضية، ففي الحالة الأولى تباينت مناهج الدراسة الإنسانية وصرنا أمام مناهج متعددة وفي الحالة الثانية تم تحويل الإنسان إلى مجرد رقم أو عدد أو قضية أولية أو ثانوية مما يمكن إخضاعه لمنهج استنباطي.

وأمام هذا التعدد والصراع المنهجي تساءل المختصون في ميتودولوجيا العلوم الإنسانية: ألا يمكن أن نجد منهجا واحدا للعلوم الإنسانية كلها يختلف تماما عن، المنهج المتبع في العلوم الرياضية وعن نظيره المنهج المتبع في العلوم الطبيعية بحيث لا تترك العلوم الإنسانية فريسة للتشتت بين مناهج متناثرة وغير ملائمة.

وكان البديل عن المنهج التجريبي (الوضعي) عند البعض متمثلا فيما يسمى بالهرمنيوطيقا (HERMENEUTIQUE) التي تمثل منهج الفهم، أي المنهج المناسب لتحقيق الموضوعية في دراسة الظواهر الإنسانية أو كل ما يمكن أن يعبر عن

الإنسان، وهذا ما حدث في العصر الحديث مع "دلثاي" (1833-1911) إذ اعتبر هذا الأخير الهرمنيوطيقا بمثابة منهج للعلوم الإنسانية أو على ما أسماه الألمان بعلم الروح.

لكن هذه المحاولة لم تحل مشكلة المنهج في العلوم الإنسانية، وبالنظر إلى طغيان التفكير المادي تم استبعاد قضايا تخص بدعوى أنها ميتافيزيقية وتخص عالم الروح. في هذه الفترة ظهر مشروع فلسفي ينادي بضرورة تجاوز دعاوى العلم التي كانت تنادي بالإجرائية الرقمية، وهو مشروع برغسون.

لقد نادى "برغسون" عبر مؤلفاته بضرورة تجاوز المنهج الوضعي واكتشاف سبل أخرى للمعرفة فوظف الحدس كمنهج للولوج إلى عالم التجربة الباطنية وهي تجربة لها من الخصوصية المميزة ما يجعلها تنتمي إلى ما وراء العقل والعلم. كل ذلك من خلال تأسيس ميتافيزيقا كمجال للوقائع الإنسانية منهجها الحدس تنتقل بواسطته إلى قلب الموضوع لتندمج مع ما هو فذ فيه ومع لا سبيل إلى التعبير عنه.

الإشكالية:

هل يمكن أن يكون المنهج الحدسي كما هو عند "برغسون" بديلا عن المناهج الوضعية في دراسة الظواهر الإنسانية ذات الطابع الروحي؟

وكما هو معروف فإن طبيعة الموضوع هي التي تحدد نوعية المنهج، وانطلاقا من الإشكالية المطروحة في هذا البحث حاولت الاعتماد على المقاربة التحليلية من أجل الوقوف على أهم الأسس التي تعطي حلا للمشكلات المطروحة. كذلك الوقوف على أهم نقاط الاختلاف والتشابه في حالات معينة والتي كان يجب الإشارة فيها إلى ذلك لتبيين ما مدى تميز "برغسون" فيما ذهب إليه في فلسفته.

وبما أنه مازال موضوع المنهج في العلوم الإنسانية محل بحث إلى يومنا هذا فقد ارتأينا النظر في الموضوع محاولين فهمه لأهميته المعرفية والفلسفية والعلمية واختياري للفيلسوف الفرنسي "برغسون" يعود إلى أنه يمثل أحد أهم أقطاب "فلسفة الحياة" في العصر المعاصر.

لذلك قسمت البحث إلى مقدمة وفصلين يتضمن الفصل الأول المعنون ب: العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج ثلاث عناصر:

أولاً: ماهية المنهج.

ثانياً: العلوم الإنسانية المفهوم والنشأة.

ثالثاً: العلوم الإنسانية والصراع المنهجي.

أما الفصل الثاني المعنون ب: الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية. فيتضمن العناصر التالية:

أولاً: مفهوم الحدس.

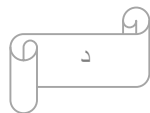
ثانياً: طبيعة الحدس عند برغسون.

ثالثاً: قواعد المنهج الحدسي.

رابعاً: الحدس وسيكولوجيا الأعماق.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على جملة من المصادر والمراجع كما اعتمدت على تحديد بعض المفاهيم والمصطلحات على مجموعة من المعاجم والقواميس والموسوعات. فمن

بين مصادر "هنري برغسون" التي اعتمدت عليها: الفكر والواقع المتحرك، المادة
والذاكرة، منبعاً الأخلاق والدين، بحث في المعطيات المباشرة للوعي



الفصل الأول :



العلوم الإنسانية و مشكلة المنهج

أولاً: ماهية المنهج

ثانياً: العلوم الإنسانية المفهوم والنشأة

ثالثاً: العلوم الإنسانية والصراع المنهجي

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج

أولاً: ماهية المنهج

ترتبط الإبتيمولوجيا المنهجية بين تقدم العلم وضرورة وجود منهج، فشرط قيام العلم وتقدمه أن تكون هناك طريقة صحيحة، فإن غاب المنهج خضع البحث للعشوائية، وأصبحت المعرفة غير علمية وعلى حد تعبير فرنسيس بيكون فـ"إنّ الأعرج الذي يسير في الطريق الصحيح ليسبق المتعجل الذي يحيد عنه"¹. فما المقصود بالمنهج؟ وهل ثمة صورة واحدة للمنهج، أم أن صورته متعددة بتعدد العلوم واختلافها؟

أ/ المنهج لغة:

تذكر القواميس والمعاجم اللغوية والفلسفية التي تناولت اللفظ "منهج" بالتعريف إلى أنه يعني الطريق الواضح، والمسلك البين المستقيم. في اللغة العربية اللفظ ((منهج)) مشتقة من ((نَهَجَ)) أي : سلك ... ومنه النهج الذي يرادف معاني السبيل والطريق وهذا بحسب ما أورده (ابن منظور) فالمنهج عنده « الطريق الواضح، ونهج الطريق أي تبيينه، وأنهج الطريق : وضّح واستبان »⁽²⁾. وهي الدلالة اللغوية نفسها التي جاءت في المعجم الوسيط : «نهج الطريق نهجا، ونهوجا: وضّح واستبان ...استنهج الطريق، صار نهجا، والمنهاج الطريق الواضح والجمع منهاج »⁽³⁾.

وما تجدر الإشارة إليه أن اللفظ منهج في القرآن الكريم لم يرد إلا مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى في الآية 48 من سورة المائدة ﴿كُلُّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾. ومنهاجا في الآية الكريمة تعني كما أورد ذلك معظم المفسرين الطريق الواسع السهل، والمسلك الواضح البين. استعمال لفظ منهاج. وليس المنهج، فالمنهاج هو الطريق أو الشريعة في حين أنّ المنهج مجرد طريقة في الاستدلال، والمنهاج أسلوب حياة، و نظام أخلاقي واجتماعي وسياسي في حين أنّ المنهج اقرب إلى النظر.

1-و.أ. بقدرج، فن البحث العلمي ، ترجمة زكري فهمي، ط 5 ، دار اقرأ ، بيروت – لبنان، 1986، ص 13 .

2-ابن منظور: لسان العرب، ج2، ، دار صادر، ط1، بيروت – لبنان، د.ت، ص 383 .

3- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية اسطنبول- تركيا، د.ت ، ص 957 .

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج
وكلمة "المنهج" ترجمة للكلمة (METHODE) الفرنسية التي لها نظائرها في اللغات الأوروبية الأخرى وكلها تعود إلى الكلمة اليونانية (METODOS) فالمقطع (ODOS) يعني الطريق أو المسلك أما المقطع (META) تعني نحو أو جهة وفي مجموعها تعني الطريق أو النهج الذي يؤدي إلى الهدف المتوخى الوصول إليه¹.

وبالرغم من التاريخ القديم للفظ "منهج" إلا أن معناه الاصطلاحي لم يتحدد إلا في أواخر القرن السابع عشر، حيث أصبح يدل على الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة.

ب/ المنهج اصطلاحاً:

يعرفه عبد المنعم حنفي على الآتي « المنهج هو الطريق الموصل بصحيح النظر فيه إلى المطلوب و بالمعنى العلمي هو مجموعة الإجراءات التي ينبغي اتخاذها بترتيب معين لبلوغ هدف معين»². إنه الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة.

ويعرف العلم الذي يختص بدراسة المناهج بعلم المناهج (الميتودولوجيا)، وهذه التسمية ترجع خصوصاً إلى كاتنط، فقد كان أول من نبه إلى هذا العلم، وذلك من خلال تقسيمه المنطق إلى قسمين: مذهب المبادئ، و موضوعه شروط المعرفة الصحيحة، أما القسم الثاني، فهو علم المناهج، *methodologie* الذي يحدد الشكل العام لكل علم والطريقة التي بها تكون أي علم³.

1 عبد الرحمان بدوي: مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، الط1977، ص3، ص3.

2 عبد المنعم حنفي: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط3، الناشر مكتبة مدبولي القاهرة، مصر، 2000، ص845.

3 عبد الرحمان بدوي: مناهج البحث العلمي، مرجع سابق، ص7.

ج/ الفلسفة وسؤال المنهج

المنهج ليس حكرا على شعب بعينه أو وقفا على ثقافة بعينها أو قصرا على حضارة خاصة بل هو عام عند كل الشعوب ومعروف في كل الثقافات وموجود في كل الحضارات، وينشأ المنهج في كل حضارة بناء على ظروفها وتاريخها، ومن خلال نشأتها وتطورها وطبقا لتكوينها وبنيتها. إن الحضارات الشرقية في الصين والهند ومصر...، سادتها المناهج التقليدية التي لا تهدف إلى المعرفة النظرية بل إلى ماه و عملي¹.

وبخلاف هذا الطرح (وجود التفكير المنهجي لدى حضارات الشرق القديم) يسود اعتقاد لدى مؤرخي المناهج أن التأسيس للمنهج في بعده النظري وبوصفه طريقا للوصول إلى الحقيقة قد بدأ مع فلاسفة اليونان، الذين توجهوا إلى طرح تساؤلات وحاولوا الإجابة عنها وفق تقصي منهجي يقطع مع الأسطورة، والشاهد على ذلك أن عملية الانتقال من مرحلة الميتوس (الأسطورة) إلى مرحلة اللوغوس (العقل) إنما تمت عبر التخلي - إلى حد ما- عن السرد الأسطوري لصالح الفكر الاستدلالي².

ويشغل "سقراط" مكانة مركزية في تاريخ الفلسفة اليونانية، ترتبط دون شك بإسهاماته في المنهج ، فعندما سئل أرسطو نفسه ما الإسهام الذي قدمه سقراط للفلسفة؟ فأجاب بما يفيد أن سقراط يعد - في رأيه- أساسا مبتكر منهج ما في الفلسفة³. وهو المنهج الحوارى القائم على التهكم والتوليد.

أمّا أفلاطون فقد أخذ بمنهج أستاذه ورأى في الجدل الطريق الصحيح لبلوغ الحقيقة، واعتبره السبيل الوحيد للبحث في الفلسفة، بل ذهب إلى أبعد من ذلك وأطلق اللفظ (الجدل)

1حسن حنفي وآخرون: قضايا العلوم الإنسانية اشكالية المنهج، إشراف وتقديم يوسف زيدان، الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، دط، دس، ص44.

2خيرة بورنان: الفلسفة الحديثة وسؤال المنهج، مجلة مقاربات، العدد 32، جوان 2018، ص 223 .

3نفس المرجع، نفس الصفحة .

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج

على العلم الأعلى واليقيني¹. والجدل يتخذ عنده صورتين جدل صاعد ننتقل فيه من جزئيات العالم الحسي إلى الكليات والماهيات المتجسدة في عالم المثل، أمّا الجدل النازل يتم النزول من أعلى المبادئ إلى أدناها بحيث ينتقل من أعلى الأجناس إلى الأنواع.

ومعأرسطو الذي يمثل حقبة ازدهار الفلسفة اليونانية قد أدرك أن طبيعة الموضوع هي التي تحدد طبيعة المنهج ويظهر ذلك من خلال تصنيفه للعلوم، إلى علوم نظرية تعتمد على المنهج الاستنباطي والعلوم العملية التي تقوم على منهج الاستقراء.

وبالرغم من اطلاع مفكري الإسلام على المنطق الأرسطي، إلا أن هناك من عارضه منهم بشدة، وكانت لهم الأسبقية في محاولة إرساء قواعد المنهج التجريبي الاستقرائي من خلال الجهود التي قدموها. ومن الذين أرسوا دعائم المنهج التجريبي جابر ابن حيان (737م-813م) الذي يعتبر من الأوائل الذين أدخلوا التجربة كأساس في البحث العلمي متجاوزا الفرضيات والتحليلات عند اليونان وذلك بتحويل علم الكيمياء من بحث فلسفي إلى علم تجريبي، يقول: "والدربة تخرج ذلك، فمن كان دربا كان عالما حقا، ومن لم يكن دربا، لم يكن عالما، وحسبك بالدربة في جميع الصنائع"². والدربة تعني عنده التجربة.

وخلال النهضة الأوروبية في القرن الثاني عشر انتقلت أفكار المنهجية العلمية بما فيها تجريبية أرسطو والمنهج الذي قدمه العلماء المسلمون إلى أوروبا عن طريق الترجمات اللاتينية من النصوص والتعليقات العربية واليونانية، ولعلّ البداية كانت من خلال تأثير روجير بيكون (1215-1294) بالمنهج التجريبي وانتقاده لمنطق أرسطو حيث كان يردد "لو تركت لي الحرية لأحرق كتب أرسطو كافة لأن دراستها لا تؤدي إلا إلى الضياع"³.

1خيرة بورنان: الفلسفة الحديثة وسؤال المنهج، مرجع سابق، ص 223 .

2النشار سامي: منهاج البحث عند مفكري الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، الط3، 1984، ص336.

3 الجندي محمد: تطبيق المنهج الرياضي في البحث العلمي عند المسلمين، دار الوفاء، المنصورة، الط1، 1999م، ص302.

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج

لقد كانت جهود روجير بيكون محاولة تمهيدية للتوجه نحو تطبيق المنهج التجريبي في دراسة العلوم المختلفة خاصة في عصر النهضة ولعل أهم مرحلة في هذا العصر تلك التي امتدت من نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر حيث بدأت الدراسة المنظمة لمنهاج البحث في مجال الفيزياء والرياضيات مع غاليلي (1596م-1680م) وهذا فيه دعوة للدقة العلمية وتجاوز التفسيرات الميتافيزيقية بالكشف عن العلاقة التي تربط الظواهر وترك البحث في المبادئ الميتافيزيقية التي استولت على الفكر القديم وبهذا يكزن غاليلي احدث قطيعة إستمولوجية معرفية بين الفكر الجديد والفكر القديم¹.

ويعود الاهتمام بالمنهج عند الغرب في العصر الحديث -كما يؤكد ذلك أغلب مؤرخي العلم- إلى تلك القطيعة المعرفية التي حدثت بين الماضي والحاضر، والتي بموجبها تم رفض المصادر القبلية للمعرفة كالكتاب المقدس، وأقوال الآباء، ومنطق أرسطو، ونظريات بطليموس... وبدأ الوعي الأوروبي يضع نفسه معرفيا و منهجيا على نحو ثنائي : مذهب ومنهج عقليان في مقابل مذهب ومنهج تجريبيين².

وهذه الثنائية يشكّل رنيه ديكارت *DescartesR* (1596-1650) طرفها الأول وفرنسيس بيكون (1561م-1626) طرفها الثاني. وأصبح معهما الحديث عن المنهج وتناوله حتمية تعتمد على مختلف ميادين العلوم سواء كانت ذات طابع علمي أو نظري.

حاول فرنسيس بيكون إقامة منهج علمي لجميع العلوم جديد يرتكز إلى الفهم المادي للطبيعة وظواهرها، وقد صاغ قواعد هذا المنهج بكل وضوح في كتابه **الأرغانون الجديد** (1620) الذي أفصح من خلاله نقض نظرية أرسطو في المنطق بشكل و نظريته في الاستقراء بشكل خاص لأنه غير صالح للبحث عن الحقيقة ولا لإبداع علوم جديدة، ومن ثمّ يكون ضرره على المعرفة أكثر من نفعه.

1 يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة الحديثة**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، 1119م، ص23.

2 حسن حنفي وآخرون: **قضايا العلوم الإنسانية إشكالية المنهج**، إشراف وتقديم: يوسف زيدان، والإنسانية إشكالية المنهج، الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، ط.د.س، ص46.

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج

ولقد قسم بيكون في كتابه الأرجانون الجديد منهجه العلمي إلى جانبين؛ الجانب الأول يصفه بالجانب السلبيويتعلق بما اصطلح عليه بيكون أصنامالعقل، أو نظرية الأوهام الأربعة¹، وتتمثل هذه الأوهام في:

- أوهام الجنس أو القبيلة

وهي الأخطاء المترتبة بالعقل البشري قاطبة من حيث هو كذلك، ومن أمثلتها سرعة التعميمات والقفز إلى الأحكام الكلية. وأيضا سيطرة فكرة معينة على الذهن تجعلنا نختار من الأمثلة والوقائع ما يؤيدها ونغض البصر عما ينفىها. فلا بد من توخي النزاهة العلمية في التعامل مع الوقائع كي ندرأ هذه النوعية من الأخطاء.

- أوهام الكهف

والمقصود بالكهف: البيئة التي نشأ فيها الفرد/ الكهف الأفلاطوني). وهذه الأوهام تتميز بطابعها الخاصه بخلاف أوهام الجنس التي تتميز بأنها عامة. إن لكل واحد منا ميلا إلى تفسير ما تعلمه من آراء ونظريات وفقا لمزاجه أو ما يهواه، إما لأنه يظن نفسه أول من وضعها، وإما ليألفه لها. وهذا الوهم شائع عند كثير من الفلاسفة والعلماء.

- أوهام المسرح

وهي الأوهام أو الأخطاء الناتجة عن تأثير المفكرين القدامى في عقل الإنسان، فيصبح هذا العقل وكأنه خشبة مسرح يعرض عليها المفكرون السابقون رؤاهم المتضاربة والمنفصلة عن الواقع الراهن. وينتج هذا النوع من الأوهام عن الاعتقاد المطلق في صدق فلسفات قديمة ومؤلفين قداماء، والتعصب لها تعصبا يحول بينه وبين تمييز الصادق منها من الكاذب.

- أوهام السوق

وهي الناجمة عن الخلط اللغوي وسوء استخدام اللغة. كأن تستعمل أسماء أشياء لا وجود لها، ثم نتصور وجود هذه الأشياء الزائفة، أو نترك أشياء حقيقية بلا أسماء نتيجة

أيوسفكرم:تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف القاهرة-مصر، الط5، 1119م، ص47-48.

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج

لقصور في الملاحظة. إن أوهام السوق تجعل الإنسان يتصور وكأنه هو الذي يملك زمام اللغة، في حين أن اللغة قد تمارس تأثيرها في العقل الإنساني، من دون أن يعي هذا.

هذا فيما يخص الجانب الأول، أما الجانب الثاني فهو الجانب الإيجابي الذي يتعلق بخطوات المنهج التجريبي عنده. إذا كان المنهج الأرسطي يرمى إلى ترتيب الموجودات في أنواع وأجناس، فإن المنهج الجديد يهدف إلى تحليل الظواهر المعقدة إلى عناصرها البسيطة قصد معرفة صورها، أي أسبابها المادية. و يتم ذلك من خلال مرحلتين أساسيتين هما: مرحلة التجريب ومرحلة الترتيب¹.

وفي الوقت الذي كان يكون يضع أسسا لثورة منهجية جديدة في درس الطبيعة، في محاولة أصيلة لجعل الطبيعة مادة للتجربة "كان ديكارت مهتما أيّما اهتمام بتحقيق حلمه، أي صياغة منهج كخطوة أساسية وأولية لطلب الحقيقة وإدراك اليقين. ولما كانت المعرفة اليقينية هي مسعى ديكارت في الفلسفة والعلوم على حد سواء فقد أدرك -على نحو يكاد يكون غير مسبوق - أن هذا المسعى لا يمكن بلوغه ما لم يحدث تغييرا على مستوى المنهج، ففي نظر ديكارت لا جدوى من طلب الحقيقة من دون منهج أو طريقة"². معتمدا على الشك كمنهج، ذلك أن "توجه ديكارت نحو الشك لم يكن نزوعا فطريا وحسب، أخرج من حديث في النفس إلى حديث الطريقة"³. بل اعتقاد راسخ من "ديكارت" بضرورة إحداث القطيعة المنهجية مع أساليب التفكير القديمة وعلى رأسها المنهج الأرسطي. والمنهج كما يعرفه ديكارت "جملة قواعد يقينية سهلة تعصم كل من يراعيها بصرامة من حمل الخطأ محتمل الصواب فيتوصل إلى معرفة ما هو أهل لمعرفته بتنمية

1 يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 48 .

2 خيرة بورنان: الفلسفة الحديثة وسؤال المنهج، مرجع سابق، ص 223.

3 نفس المرجع، نفس الصفحة .

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج
علمه بكيفية متدرجة متواصلة دون أن يهدر أي جهد ذهني¹. ويتكون هذا المنهج من أربعة قواعد² هي:

قاعدة البدهة والوضوح:

مضمونها " ألا أقبل شيئاً ما على أنه حق، ما لم أعرف، يقينا أنه كذلك: بمعنى أن أتجنب بعناية التهور والسبق إلى الحكم قبل النظر .وَألا أدخل في أحكامي إلا ما يتمثل أمام عقلي في جلاء وتميز، بحيث لا يكون لدي أي مجال لوضعه موضع الشك".

قاعدة التحليل: " أن أقسم كل واحدة من المعضلات التي سأختبرها إلى أجزاء قدر المستطاع، وعلى قدر ما تدعو الحاجة إلى حلها على خير الوجه".

قاعدة التركيب: " أن أسير بأفكاري بنظام، بادئاً بأبسط الأمور وأسهلها معرفة، كي أتدرج قليلاً حتى أصل إلى معرفة أكثرها ترتيباً، بل وأن افرض ترتيباً، بين الأمور التي لا يسبق بعضها الآخر بالطبع "

قاعدة الإحصاء والمراجعة: " أن أعمل في كل الأحوال، من الإحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملة، ما تجعلني على ثقة من أنني لم أغفل شيئاً".

لقد حاول ديكارت من خلال هذا المنهج الذي استوحاه من منهج الرياضيات (الهندسة) أن يصل إلى معرفة موضوعية وصادقة، بها يحقق الإنسان التقدم المنشود.

تواصل الاهتمام بالمنهجي الفلسفة الحديثة مع هيجل الذي جعل من الجدل منهجاً خاصاً بالفلسفة. ثم جاءت المرحلة التي بدأ فيها الوعي الأوروبي يتجاوز ثنائياته المنهجية الأولى (المنهج العقلي والمنهج التجريبي) وثنائياته المنهجية الثانية (المنهج الجدلي والمنهج التحليلي) إلى وحدة المنهج الشعوري الذي يحلل الظواهر باعتبارها تجارب حية في

1روننيه ديكارت: قواعد لتوجيه الفكر، ترجمة سفيان سعدالله، دار سرار للنشر، تونس، د.ط، 2001، ص 40 .

2رننيه ديكارت: مقال عن المنهج، ترجمة، محمود محمد الخضير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1985، ص 191، 192.

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج
الشعور. وهذا ما يعرف بالمنهج الظاهري¹. الذي سيتقاطع مع منهج آخر يميز الفلسفة
المعاصرة ألا وهو المنهج الحدسي كما هو عند هنري برغسون.

ثانيا: العلوم الإنسانية المفهوم والنشأة

أ/ مشكلة المصطلح

إنّ أول ما يمكن ملاحظته عند الاقتراب من العلوم الإنسانية، سواء لتحديد مفهومها
أو موضوعها، هو الاختلاف الذي يشكل أرضية هذه العلوم، فلم يتفق المفكرون
والفلاسفة بشأن تسمية هذه العلوم؛ فالأنجلوساكسون فضلوا تسميتها بالعلوم
الاجتماعية *Social Sciences* في حين أنّ البعض من الفلاسفة الفرنسيين، وعلى رأسهم كلود
ليفى ستراوس لا يفرقون بين العلوم الإنسانية *sciences humaines* والعلوم الاجتماعية
sciences sociales. ومع أنّ جان بياجى لا يقر بوجود اختلاف جوهري بين العلوم
الإنسانية والعلوم الاجتماعية، إلا أنه فضل إطلاق مصطلح علوم الإنسان، وهو عنوان
أشهر مؤلفاته، ويتعلق الأمر بكتابه *Epistémologie des sciences de l'homme* على
الدراسات الإنسانية والاجتماعية، وقد برر ذلك بما يثيره مصطلح العلوم الإنسانية من
التأويلات المتعلقة بالقيم والأخلاق².

واستخدمت المدرسة الألمانية منذ زمن، وليام دلتاي مصطلحا آخر يتعلق الأمر بما
أسموه بـ(العلوم العقلية) أو (علوم الروح) *Geistwissenschaften* وذلك تمييزا لها عن علوم
الطبيعة، من جهة وعلى أساس أنّ الإنسان وحده يتميز بالروح (*Geist*). وقد دخل هذا
المصطلح المجال المعرفي الألماني كترجمة للمصطلح الانجليزي (علم الأخلاق) الذي نحتة
جون ستيوارت مل *S. Mills*. ليليدل به على تلك العلوم التي نمت نموا كبيرا في القرن التاسع

1 حسن حنفي وآخرون: قضايا العلوم الإنسانية إشكالية المنهج، مرجع سابق، ص51.

2 خيرة بورنان: اتجاهات ومناهج البحث في العلوم الإنسانية، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، العدد30، 2013،
مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار - الجزائر، ص202.

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج

عشر، وتميزت من مجموعة العلوم الطبيعية، وهذا يعني أن دراسة الإنسان تختلف عن دراسة الطبيعة¹.

أما العلوم السلوكية *Behaviorismsciences* فهو مصطلح ظهر عند المدرسة السلوكية في علم النفس يتناول بالدراسة والبحث سلوك الإنسان فرداً أو جماعة. وعليه فثمة تداخل بين هذه العلوم والعلوم الاجتماعية والإنسانية، وقد يصل هذا التداخل حد التكامل.

ب/ تعريف العلوم الانسانية:

من الصعوبة بمكان تقديم تعريف جامع مانع للعلوم الإنسانية؛ ففضلاً عن تنوعها وتشعبها فكل موقف من أية قضية من قضايا العلوم الإنسانية إلا ويصدر عن الاتجاه الفلسفي الذي يتخذه الباحث والمنهج الذي يعتمد في تلك القضايا. كما أن أي تعريف يقدمه المختص في البحث فيها ودراستها، إلا ويكون للمنهج الذي يتصور أنه الأنسب لهذا النوع من الدراسات الأثر العميق في ذلك .

يذهب البعض وتحت تأثير الفلسفة الوضعية ومنهجها، إلى القول بأن العلوم الإنسانية فرع من فروع العلم الطبيعي بالمعنى الواسع للكلمة، لأن موضوعها وهو الوقائع والظواهر الاجتماعية، كأى موضوع طبيعي يقبل الملاحظة، أو المشاهدة لوجوده في الواقع الفعلي.

وخلافاً لذلك، وبالنظر إلى ما يميز العلوم الإنسانية وهو الجانب الروحي يرى بعض المختصين في مناهج العلوم الإنسانية ومن بينهم "ريكمان" أن العلوم الإنسانية تحاول النفاذ إلى الأفكار والمشاعر والمعاني والمقاصد التي تقف وراء الواقع ومختلف التعبيرات وإدراكها إدراكاً كيفياً وهذا ما عبر عنه في قوله: "إن الدراسات الإنسانية هي تلك الأنساق التي تعالج عمليات العقل الإنساني وكل ما يمكن أن يكون نتاج ذلك العقل أو يتأثر بعملياته"². واضح من هذا التعريف أن هناك اختلاف بين هذه العلوم والعلوم الطبيعية التي تتناول دراسة

1- هـ.ب. ريكمان: منهج جديد للدراسات الإنسانية، محاولة فلسفية، ترجمة علي عبد المعطي و محمد علي محمد مكتبة مكوي، بيروت - لبنان، ط1، 1979، ص 107.

2- هـ.ب. ريكمان: منهج جديد للدراسات الإنسانية، محاولة فلسفية، مرجع سابق، ص109.

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج

الأجسام والحركات في المكان قصد الوصول إلى قوانين ونتائج يمكن تعميمها وكذلك التنبؤ بها، في نظر "ريكمان" تتناول الدراسات الإنسانية المشاعر وتهتم هذه الدراسة بالأفكار والمطامح والسلوك الهادف والإبداع الفني والأدوات التي يضعها الإنسان والقواعد التي يفرضها البشر على أنفسهم، والأنظمة التي يستحدثونها فتلك كلها ظواهر تجعل للحياة معنى، ولهذا كانت الدراسات الإنسانية تعالج أساسا وقائع ذات معنى، بعكس العلوم الطبيعية التي تدرس الأجسام والحركات في المكان¹.

وبعيدا عن هذه التعريفات التي ترتبط بتوجهات منهجية محددة يمكن القول أن العلوم الإنسانية، هي التي يكون محورها الإنسان وسلوكه، تجاه نفسه، وتجاه الآخرين على كافة المستويات النفسية، والاجتماعية والسياسية، والاقتصادية، وهذا يعني أن العلوم الإنسانية تضم فئة كثيرة من العلوم الفرعية التي يتعلق كل واحد منها بنوع من النشاط أو السلوك .

ج/ نشأة العلوم الإنسانية وتطورها

إنّ الاهتمام بالإنسان وشؤونيه ليس وليد العقل العلمي المعاصر أو مشاكل الإنسان المعاصرة؛ "بل التفكير في الإنسان قديم قدم التاريخ البشري. والسؤال: ما الإنسان؟ أو - في صيغة لاحقة- من هو الإنسان؟ هو السؤال المعلن مرة و الخفي مرات أخرى. و بين جدلية الخفاء والتجلي، تعددت الإجابات بتعدد الصيغ التي طرح من خلالها هذا السؤال وبتعدد مصادر الإجابة عنه كذلك. فإذا كان مبحث الإنسان مبحث الفلسفة الأثير والسؤال: ما هو الإنسان؟ السؤال الأعدق في الفلسفة، إلا أن الجواب عنه ليس جوابا فلسفيا خالصا، تتميز به الفلسفة وتحتكره، ففي الأسطورة، كما في الدين و في العلم و في الفن كذلك إجابات عن هذا السؤال"². وعبر مسارها الطويل حفلت الفلسفة بالعديد من الإجابات عن هذا السؤال حتى غدا سؤال الإنسان الهم الفلسفي الأبرز لجل الفلاسفة.

1-هـ.ب. ريكمان: منهج جديد للدراسات الإنسانية، محاولة فلسفية، مرجع سابق، ص121.

2خيرة بورنان: اتجاهات ومناهج البحث في العلوم الإنسانية، مرجع سابق، 184 .

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج

ولئن اتجه الفكر الفلسفي مع اليونان صوب المباحث الكوسمولوجية في المرحلة المسماة بالفلسفة الطبيعية، فإن الفلسفة مع سقراط الذي قيل عنه أنه (أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض)، من مبحث الإنسان مبحثاً رئيسياً؛ فمهمة الفلسفة عنده لم تعد النظر في مسائل نشأة الكون وتفسير الطبيعة، بل محاولة أن يعرف الإنسان نفسه، أي محاولته لبناء إنسان جديد وذلك من خلال المبدأ الذي أرسى فلسفته عليه وهو (اعرف نفسك بنفسك). زائد الاهتمام بالقضايا التي تتعلق بالإنسان إن على الصعيد النفسي أو الاجتماعي مع كل من أفلاطون وأرسطو. لقد عالج أفلاطون من خلال الجمهورية الفاضلة قضايا اجتماعية وسياسية محددة. وبالنظر إلى ما قدمه فلاسفة اليونان في الفلسفة بشكل عام والفلسفة الاجتماعية أو النفسية بشكل خاص، إلا أن هذا العصري نظر المفكر المغربي المعاصر محمد وقيدى م يكن مهياً موضوعياً لكي يقوم به مجال معرفي، هو الذي ندعوه اليوم بالعلوم الإنسانية فالإطار الميتافيزيقي الذي حدد بنية هذا الفكر، وكذا اصطباغ هذا الأخير بالصبغة الأسطورية في النظر إلى العالم والإنسان عاق كل تقدم في المعرفة العلمية بالإنسان¹.

ولئن اتجه المسلمون لمساءلة الطبيعة وفقاً للمنهج التجريبي كما تمثله جابر بن حيان والحسن ابن الهيثم وغيرهما، فإن اهتمامهم بالقضايا التي تدرج فيما يصطلح عليه بالعلوم الإنسانية لم يكن بالقدر الكافي الذي يمكن القول معه بأن مبحث العلوم الإنسانية كان حاضراً على نحو صريح، فالإنسان قبل نشأة العلوم الإنسانية كان خارج النطاق الإبيستيمولوجي للمعرفة، ثم أصبح شيئاً فشيئاً داخل هذا النطاق ويتجلى ذلك من خلال اجتهادات ابن خلدون في دعوته إلى إقامة علم يكون بدراسة الظواهر الإنسانية في جوانبها المختلفة و المتعددة هو علم بالإنسان سماه علم العمران البشري لكن لا نريد بهذا الحديث أن نجزم بنشأة العلوم الإنسانية مع ابن خلدون ولكن نكتفي الآن بالمبحث في الوضعية الإبيستيمولوجية بالمعارف التي ندعوها اليوم بالعلوم الإنسانية كما كانت عليه عند ابن خلدون .

1 محمد وقيدى، العلوم الإنسانية والإيدولوجيا، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الط1، 1983، ص 39 .

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج

ويتعلق الخطاب الخلدوني بمستويين هما التاريخ من جهة وعلم العمران من جهة أخرى، لقد أبدى ابن خلدون عزمه بالتجديد المنهجي في علم عريق هو التاريخ، ولقد قاده هذا إلى اكتشاف علم جديد لم يسبقه إليه غيره وهو علم العمران البشري. ذلك أن التاريخ بحسب قوله: "محتاج إلى مأخذ متعدّدة ومعارف متنوّعة، وحسن نظر وتنبّث يفضيان بصاحبهما إلى الحقّ وينكبان به عن المزلات والمغالط لأنّ الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السّياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنسانيّ ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربّما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصّدق"¹. ومن خلال منهجه نقل الممارسة التاريخية من مستوى سرد الأخبار إلى بحث منهجي يتطلب من المؤرخ أن يكون ملمًا بطبائع العمران، وأحواله قبل أن يفسر الحوادث التاريخية، ويحللها وإلا بطلت الممارسة التاريخية.

لقد تعامل ابن خلدون مع المجال الإبستمولوجي لعصره بمستويين؛ في المستوى وجه الانتقاد إلى المنهج المتبع في علم من ذلك المجال وهو التاريخ ولكنه رأى في مستوى ثان أنه لا يمكن التجديد في منهج التاريخ كعلم دون تثوير المجال الإبستمولوجي الذي يوجه ضمنه هذا العلم بأكمله وذلك برفقة علم جديد إليه هو علم العمران². وعلى هذا النحو يكون ابن خلدون قد أدخل التاريخ في فلسفة علم الاجتماع الإنساني

ومن الفلاسفة الذين كان لهم الأثر البارز في تحطيم الأيديولوجيا الكنسية والاتجاه نحو العقلانية الفيلسوف الإيطالي **جان باتيستا فيكو** *J.B. Vico* (1669-1744) فهو في نظر الكثيرين، أوّل من أرسى القواعد المنهجية لدراسة العلوم الإنسانية بوجه عام و التاريخ بوجه خاص في كتابه **(العلم الجديد في الطبيعة المشتركة للأمم)** الذي يعدّ محاولة أصيلة في تاريخ العلوم الإنسانية فالمجتمع الإنساني صنعة الإنسان، والإنسان قادر على فهم

1 محمد وقيدى، العلوم الإنسانية والايديولوجيا، مرجع سابق، ص 291 .

2 نفس المرجع، ص 6.

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج

صنعته. وقد بين "فيكو" أن كل أمة أو حضارة في تاريخها بعصور ثلاث تعبر عن ثلاث معان للإنسان: عصر الآلهة، يقابله الإنسان الإلهي، عصر البطولة ويقابله الإنسان البطولي وعصر الإنسان، يقابله الإنسان الإنساني¹.

وإذا كان ديكارت يشكل اللحظة الأولى في الفلسفة الحديثة التي طرح فيها السؤال ما الإنسان، فإن كانطيمثل اللحظة الثانية في هذه الفلسفة معتبرا إياه السؤال المحوري الذي يختزل كل الأسئلة؛ فكل ما يثيره البشر من موضوعات لا يكاد يعدو أسئلة ثلاثة:

- ما الذي يمكنني أن أعرفه؟
- ما الذي ينبغي لي أن أعمله؟
- ما الذي أستطيع أن آمله؟. وهذه المسائل الثلاث تتلخص جميعا في سؤال واحد: ما هو الإنسان؟.

لكن لا القرن السابع عشر ولا القرن الثامن عشر كان مهيين حسب فوكو لميلاد العلوم الإنسانية. إن العلوم الإنسانية لم ترث حقلا معرفيا مرسوم المعالم موضوعا ومنهجيا، يترتب عليها تطويره، فالعصر الكلاسيكي* تشكل على نحو لا يسمح بوجود حقل ووعي معرفيين يخصان الإنسان كإنسان، كما أن بنيته المعرفية لم تتضمن فلسفة، أو خيارا سياسيا أو أخلاقيا، ولا حتى نظرية علمية يمكن أن تكون خلفية لمفهوم الإنسان². إذ ميلاد هذه العلوم كان في مستهل القرن التاسع عشر، عندما ظهرت محاولات منهجية لدراسة الإنسان دراسة علمية، لكن هذه المحاولات واجهتها عوائق.

د/عوائق دراسة الظاهرة الإنسانية.

1خيرة بورنان: الفلسفة الحديثة وسؤال المنهج، مرجع سابق، ص 184 .

2خيرة بورنان: اتجاهات ومناهج البحث في العلوم الإنسانية، مرجع سابق، ص 200 .

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج

طالما أن العلوم الإنسانية تتعلق بالإنسان أو هي التي يكون محورها الإنسان فإن البحث في فلسفتها يظل على درجة كبيرة من الصعوبة بخلاف الحال في العلوم الطبيعية حيث تواجه العديد من الصعوبات من حيث الموضوع وكذلك صعوبات من حيث المنهج. الذاتية.

من أهم خصائص الظواهر الإنسانية، وأشدّها خطورة على علمية هذا النوع من الدراسات هو التداخل الموجود فيها بين الذات والموضوع، فإذا كانت الموضوعية المنشودة في النموذج العلمي تتحقق من خلال الفصل بين الذات والموضوع ، فهذا الشرط متعذر في العلوم الإنسانية فالإنسان هو الدارس، وهو أيضا موضوع الدراسة. و يذكر **جان بياجيه في كتابه (إيستيمولوجيا العلوم الإنسانية)**، بعض الصعوبات التي تطرحها هذه الوضعية أمام الدراسة الموضوعية، ما يلي:

- ✓ استحضار الملاحظ لأحكام قيمة ذاتية قبلية وانطلاقه من رؤيته الخاصة
- ✓ انتماء العالم للواقع الذي يدرسه (العالم جزء من الظاهرة)
- ✓ اعتقاد الملاحظ في معرفته الحدسية، فغالبا ما يكون الباحث حاملا لمعرفة عفوية مسبقة وحدسية حول الموضوع المدروس، وبالتالي يصعب تحقيق قطيعة بين المعرفة العفوية والمعرفة العلمية المطلوبة بخلاف ما هو الأمر عليه في علوم الطبيعة ينتج عن هذا الوضع صعوبة تحقيق الموضوعية التي تعتبر أساسا لعلمية وموضوعية العلوم الحقة.
- ✓ الارتباط بمواقف مضمرة ومتباينة؛ فالباحث أو العالم قد يميل إلى التبرير أو الإدانة ويبتعد عن الحياد، بحيث لا يلتزم بالوصف وتحليل الموضوعي بل قد يميل التقييم أي إصدار أحكام قيمة¹.

حين تطبيق الباحث المنهج العلمي في دراسة الموضوعات المختلفة التي تكون مستقلة عنه فهذا يضمن الطريق نحو "الموضوعية" في العلوم الطبيعية، لكن في العلوم الإنسانية يكون تطبيق المنهج العلمي على الإنسان ذاته أي أن الإنسان يكون دارس

1خيرة بورنان: اتجاهات ومناهج البحث في العلوم الإنسانية، مرجع سابق، ص 200 .

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج

ومدرس في الوقت نفسه وهذا ما يكون حائلا دون تحصيل المعرفة الموضوعية¹. ولأن المعرفة العلمية لها شرطان ذات عارفة وموضوع معرفة ، فنحن نعرف أن المعدن يتمدد بالحرارة وأن الأرض كروية الشكل وغير ذلك من المعارف التي ترتبط بموضوعات خارجة عن الذات العارفة وهذا يصعب في العلوم الإنسانية التي تدرس الإنسان وسلوكه. إن طرفا الدراسة في هذا المجال يشكلان وحدة لا تنقسم؛ فالذات العارفة هي في الوقت ذاته موضوع المعرفة.

والذاتية من أكبر العوائق الإستمولوجية في العلوم الإنسانية فالباحث حين دراسته للإنسان يواجه صعوبة كونه يتعامل مع ما هو باطني يتمثل في الميول والبواعث والمقاصد، يجهلها هو ويدركها صاحبها، وقد لا تدرك من الخارج إذ نجد بعض السلوكات لا تعكس حقيقة ما بالداخل لا يتسنى للباحث معرفتها إلا من خلال التوسط بخبرته الذاتية فبيداً بافتراض قيم وعوامل مسبقة قد تكشف له الهدف المضمحل لكن هذه الأمور المسبقة التي افترضها الباحث قد تكون عائق حقيقي أمام البحث العلمي فيختلط ما يعرفه الباحث عن نفسه بما يحاول درسه².

ويمكن للباحث في العلوم الطبيعية في تطبيقه للتجارب معالجة خواص الظاهرة وكيفية حدوثها لكن هذا لا يتسنى في العلوم الإنسانية لأن إدخال متغير قد يؤدي إلى تعديل لا يقبل عكس مساره في المتغيرات المناطة، فالظواهر الإنسانية معقدة متشابكة لا تتكرر يصعب على الباحث أن يشاهد الأطر فيها لأنها تأتي مرة لا تتكرر³، فمثلا الحادثة التاريخية هي حادثة فريدة من نوعها لا تتكرر لأن الزمن الذي حدثت فيه لا يعود من جديد، و الإطار الاجتماعي الذي حدثت فيه يكون تغير لا محالة ولذلك لا يمكن للمؤرخ

1 محمد وقيدى: العلوم الإنسانية والإيدولوجيا، مرجع سابق، ص 91.

2 محمد وقيدى: العلوم الإنسانية والإيدولوجيا، المرجع السابق، ص (53-54).

3 صلاح قنصوة: الموضوعية في العلوم الإنسانية عرض نقدي لمنهج البحث، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، د. ط، 1980، ص (45-46).

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج

إخضاعها للتجريب عن طريق اصطناع حرب تجريبية حتى يتحقق من صحة فرضياته، ثم أنها ظواهر لا تخضع لقوانين الحتمية ثم إن أسباب وقوع حرب ماضية قد تجتمع حالياً ولا تقع الحرب فقد تلجأ الأطراف المتنازعة إلى السلم بدل الحرب. وظاهرة الجريمة مثلاً في الدراسات الاجتماعية يمكن أن نجد لها محصلة لمجموعة من الأسباب النفسية، والاقتصادية، والتربوية، والدينية، والعلمية ولا يمكن إرجاعها إلى سبب محدد، ولهذا التعقيد كانت دراستها أصعب من العلوم الطبيعية.

الباحث أثناء دراسته للظواهر الإنسانية يتأثر بعوامل تحرف حكمه عن الواقع من بين هذه العوامل:

_ القيمة.

خلال عملية الدراسة للظواهر الإنسانية على الباحث أن يختار أسئلة وإشكاليات تعبر عن تلك الاهتمامات التي هي بمثابة تقويمات تلاحق عملية البحث العلمي ودون هذه الاهتمامات لن توجد أسئلة ولا موضوع بحث¹ وخاصة في اختيار الأمثلة المؤيدة والمواتية لفكرة معينة، فمثلاً الباحث بدراسته في علم الاقتصاد يتجه إلى الأخذ بفكرة الاقتصاد الموجه والوقوف عند بعض الأسئلة والإشكاليات والأمثلة يختارها لنزع الغموض والنتيجة كما يقول "غولدمان" (GOLDMANN) "إن الدراسة العلمية للوقائع الإنسانية لا تستطيع أن تؤسس منطقياً بمفردها أي حكم قيمة فالمنفعة للعلوم الاجتماعية تكمن في إقامة أوامر افتراضية (العلاقة بين بعض الوسائل وبعض الأهداف) وفي جعل النتائج التي ستتبع ذلك واعية عبر نسبتها لبعض القيم"² وهنا الباحثون أثناء الدراسة العلمية يختلفون في التزاماتهم القيمة لأنه من المستحيل أن نتوقع من العلوم الإنسانية أن تقدم إجماعاً و اتفاقاً حول النتائج

1صلاح قنصوة: الموضوعية في العلوم الإنسانية عرض نقدي لمناهج البحث، مرجع سابق، ص54.

2لوسيانغولدمان: العلوم الإنسانية والفلسفة، ترجمة: يوسف الاتطكي، مراجعة محمد برادة، المجلس الأعلى للثقافة، الط2،

1996 ، ص61.

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج

والتفسيرات يقول "ماكس فيبر" "لا تغدو واقعا تجريبيا أو بسبب ما نعزوها إلى أفكار قيمية فالحوادث أو الوقائع الثقافية تفترض سلفا توجيهها قيما".¹

- الأيديولوجية.

الأيديولوجية لها تأثيرها البارز على العلوم الإنسانية الذي لا يمكن عزله لأنه تأثير يتسلل خفية ودون وعي في كثير من الأحيان، فالأنا مصدر معرفة في تطبيقها المنهج العلمي وموضوع معرفة في الوقت نفسه وهنا يصبح الباحث جزء من الدراسة التي يدرسها، وهنا يسعى الباحث من مزاولته لنفوذ معين وهذا من شأنه أن يؤثر على أحكامه وعلى هذا ينبغي أن نتوقع العثور في العلوم الاجتماعية على العديد من الميول والاتجاهات المضمرة في النتائج والتفسيرات²، مثلا في الحادثة التاريخية المؤرخ لا يواجه ظواهر طبيعية مستقلة بل سيواجه حقائق تتعلق بكيانه الشخصي والوطني والإيديولوجي فيكون هو الدارس والمدرس في نفس الوقت يتأثر حتما بانتماءه السياسي والديني، إن المؤرخ الجزائري على سبيل المثال لا يكتب تاريخ الثورة التحريرية وما جاء فيها من مجازر كما يكتبها المؤرخ الفرنسي، إن المؤرخ بصفة عامة بدل أن يمثل الحياد و الموضوعية ويفسر الحادثة كما وقعت يقوم بتأويلها ويصدر بشأنها أحكام تقييميه فتراه يضخم الوقائع التي تخدم قضيته وينقاضي عن الوقائع التي تسيء إليها وفي جميع الحالات تزيف للحقيقة و نكران لها.

وبتالي فارتباط الباحثين في العلوم الإنسانية بمنطلقات إيديولوجية تدفعهم إلى التوجه الغير مقصود وإلى تحوير موضوع البحث كما يتناسب مع إيديولوجيته يقول "غولدمان" "يجب على الباحث أن يجتهد في الوصول إلى صورة صحيحة للوقائع، ملغيا كل تشويه يرجع إلى تعاطفه أو نفوره الشخصيين".³

1لوسيانغولدمان :العلوم الإنسانية والفلسفة،مرجع سابق،ص61.

2صلاح قنصوة :الموضوعية في العلوم الإنسانية عرض نقدي لمناهج البحث، مرجع سابق ص56.

3لوسيانغولدمان :العلوم الإنسانية والفلسفة، مرجع سابق، ص61.

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج

ب- من حيث المنهج.

هناك اعتراضات متعددة على تطبيق المنهج ففي حين تطبيق المنهج العلمي على الدراسات الإنسانية ليس بمثل تطبيقه على الدراسات الطبيعية إذ تلجأ العلوم الإنسانية على صعيد المنهج إلى طرق الملاحظة الخارجية والفرضية والتجريب وأول ميزة تتسم بها الملاحظة أنها غير مباشرة ولا تنصب على الواقع مباشرة كما هو، كذلك انتقاد آخر يوجه للملاحظة التي تعاین شخص معين في لحظة معينة قد لا تعكس حقيقة سلوكه وخاصة إن علم أنه موضوع للملاحظة¹ و الفرضية كذلك ليست علمية كونها مبنية على ملاحظة غير علمية والتجريب كذلك يبدو مستحيلا لأن هذا يعني أن الباحث في تطبيقه للتجربة قد يضطر إلى عزل بعض المتغيرات والعناصر المؤثرة في الظاهرة وهذا هو الحائل دون الوصول إلى معرفة موضوعية.

عدم خضوع الظواهر الإنسانية للقياس وعدم قابليتها لذلك يمنع من تطبيق المناهج الكمية في العلوم التي تدرس هذه الظواهر ويصوغ هذا "كارل بوبر" في قوله: "إن عالم الاجتماع مهمته الحصول على تفسير على التغيرات التي تعانيتها على مر التاريخ كائنات اجتماعية كالدول والنظم الاقتصادية وأنواع المحكومات ولما كنا لا نعلم طريقة واحدة للتعبير عن كفيات هذه الكائنات تعبيرا كميًا، فليس من المستطاع لنا صياغة القوانين الكمية، وإذن فالقوانين العلية في العلوم الاجتماعية إذ فرضنا وجودها لابد وأن تخالف القوانين الفيزيقية خلافا بينا لأن الطابع الكيفي غالب فيها على الطابع الكمي والرياضي وإذا كانت القوانين الاجتماعية تعين درجة أي شيء كان فهي لا تقلل ذلك إلا في ألفاظ بعيدة جدا على التحديد وهي على أحسن تقدير لن تعطينا إلا تجريدا بينه وبين الدقة بون شاسع"²، فظواهر العلوم الإنسانية هي ظواهر كيفية وهذا ينطبق مع الظواهر النفسية والتاريخية والمجتمعية وغيرها من الظواهر الإنسانية الأخرى، هذا بينما يعتبر قياس

1محمد وقيدى: العلوم الإنسانية والإيدولوجيا، مرجع سابق، ص(93،95).

2محمد وقيدى: العلوم الإنسانية والإيدولوجيا، مرجع سابق، ص95.

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج

الظواهر قياساً دقيقاً والتعبير بذلك بقوانين رياضية يعتبر من أهم معايير العلمية والدقة وهذا ما لا يتوفر في العلوم الإنسانية.

تعتبر الصيغ الكمية أكثر دقة من الصيغ الكيفية وبتالي فإن أغلب العلوم الإنسانية التي تستخدم الصيغ الكيفية تكون نتائجها وتعميماتها أقل دقة¹، ويصعب تحديد العلة أو العلل في هذه العلوم وحصر أسباب الظاهرة فقد يصل الدارس إلى معرفة بعض الأسباب لكن دون أن يتمكن من الوقوف على كل الأسباب لأنها متعددة ومتداخلة ومتشابكة، أو إلى اختلاف النماذج والمفردات التي يتم التعميم منها لأن ما يصدق على عينة لا يصدق بالضرورة على عينة أخرى ولا يمكننا تعميم النتائج مثلاً كأن نقول كل دولة تمر بمراحل ثلاث مرحلة النشأة ومرحلة التطور ومرحلة التدهور. وهنا يختلف العلم الفيزيائي عن العلم الإنساني إذ يجعل من التشابه والتماثل بين مفرداته أساس نجاح عملية التعميم.

العلوم الإنسانية عجزت على إنتاج نظرية عامة وشاملة وتصور كلي يمكن من خلالها تحليل وتفسير مختلف القضايا الإنسانية وحل مختلف المشكلات وبتالي تبقى النظريات المتوصل إليها في مجال العلوم الإنسانية نسبية ولا تتسم بالدقة والصرامة.

ثالثاً: العلوم الإنسانية و الصراع المنهجي

غداة نشأة العلوم الإنسانية في القرن التاسع عشر وجدت نفسها بإزاء تراث منهجي شكل لها اغراء لا يقاوم، فحاولات تطبيق تلك المنهجيات في دراسة موضوعاتها. وقد أفرزت هذه المحاولة ظهور اتجاهين منهجيين بارزين في العلوم الإنسانية؛ المنهج الوضعي والمنهج المثالي أو اللاوضعي.

أ_ المنهج الوضعي.

اقترن ظهور الوضعية "Positivisme" بالفيلسوف الفرنسي "أوغست كونت" في القرن التاسع عشر إذ تميزت منذ البداية بأنها علمانية تهتم بدراسة وقائع الطبيعة والإنسان

1 غرمي إسلام: في فلسفة العلوم الإنسانية، مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن، العدد الأول، الكويت، 1977، ص 257.

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج

والمجتمع دراسة علمية¹. فـ"كونت" كان يؤمن بأن العلم يمدنا بقوانين من خلالها نستطيع السيطرة على الطبيعة ولا سبيل إلى ذلك إلا باللجوء إلى التجربة. ومن ثمة جاءت هذه الفلسفة ضرباً من التجريبية وهي كذلك اجتماعية لأن روادها علماء اجتماع ولأنها ردت المعرفة وصنوف الظواهر إلى الحياة الاجتماعية. واسم "الوضعية" كان أفضل التسميات دون غيره- من مادية أو تجريبية أو تطويرية وهي أسماء تدور حول مصطلح الوضعية- لأنها كانت تضم باقي التيارات.²

والوضعية لها جذورها السابقة في عصر النهضة حين حاولت القضاء على المد اللاهوتي الإقطاعي ولكن ما يميز القرن التاسع عشر هو جعل الموضوعية نظام عام لكل التصورات تهدف لدراسة كل الظواهر الطبيعية والإنسانية والاجتماعية دراسة علمية وقد عبر "اميل دوركايم" على هذا الأساس التجريبي حين قال: "إن العالم لا يستطيع أن ينهج منهجا آخر غير اعتبار الإحساس نقطة بدء لدراسته... ولن يستطيع أن يتحرر من كل الأفكار الشائعة ومن الألفاظ التي تعبر من هذه المعاني إلا إذا جعل الإحساس هو المادة الأولية التي لا بد منها في نشأة كل معنى كلي".³

لم تعد المشكلات الميتافيزيقية ذات أهمية خلال القرن التاسع عشر حيث حل الاهتمام بأمور العالم محل هذه المشكلات ونمى الوعي بالتقدم الذي أحرزته العلوم الطبيعية من نجاح وازدهار، ومن ثمة كانت الحقائق -عند أصحاب هذا الاتجاه الفلسفي- حقائق جزئية نسبية متغيرة وليست كلية مطلقة كما زعم أصحاب الاتجاهات العقلية من الفلاسفة.

1محمد محمد أمزيان: منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي

هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، الط1، 1991، ص18.

2بورنان خيرة: اتجاهات ومناهج البحث في العلوم الإنسانية، مرجع سابق، ص185.

3محمد محمد أمزيان: منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعية، مرجع سابق، ص51.

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج

واعتبار النموذج الطبيعي سلطة مرجعية للعلوم الإنسانية ويعني هذا دعوة إلى وحدة المنهج بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية بغض النظر عن اختلاف موضوع كل من هاذين العلمين يقول "كونت" إننا مادما نفكر بشكل وضعي في مادة علم الفلك، أو الفيزياء لم يعد بإمكاننا أن نفكر بطريقة مغايرة في مادة السياسة أو الدين، فالمنهج الوضعي الذي نجح في العلوم الطبيعية غير العضوية يجب أن يمتد إلى كل أبعاد التفكير¹، على اعتبار أن الإنسان جزء من هذا العالم الطبيعي ويفسر في نطاق التفسير العام للنظام الطبيعي.

ولأن الظواهر الاجتماعية ماهيلا أشياء نظر إليها "كونت" نظرتة إلى الفيزياء فيقول: "أعني بالفيزياء الاجتماعية العلم الذي يكون موضوعه الخاص هو الظواهر المجتمعية منظورا إليها بنفس الروح التي ينظر بها إلى الظواهر: الفلكية، والفيزيائية، والكيميائية، والفيزيولوجية أي من حيث هي خاضعة لقوانين ثابتة اكتشفها هو الهدف الخاص بهذا العلم"². ولما كان خارج الأشياء لا يتاح لنا إلا عن طريق الإحساس، فلا بد لكي يكون العلم موضوعيا ألا نبدأ من المفهومات أو التصورات التي تتشكل وتصاغ بدون علم بل من الإحساس وهكذا تكون المعطيات الحسية هي عناصر تعريفات العلم الأولية. ويقوم لمنهج الوضعي على أسس أبرزها:

- يعتبر الوضعيون النموذج الطبيعي سلطة مرجعية للعلوم الإنسانية، فالفرق بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية هو فرق في الدرجة وليس فرقا في النوع، وهذا ما يجعل تطبيق المنهج العلمي على العلوم الإنسانية أكثر صعوبة ولا يجعله من الناحية المنطقية مستحيلا.

1محمد محمد أمزيان: منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعارية، مرجع سابق، ص91.

2محمد وقيدي: العلوم الإنسانية والايديولوجيا، مرجع سابق، ص85.

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج

- خضوع الظواهر الاجتماعية كغيرها من الظواهر لقوانين طبيعية ثابتة، وعليه فالمنهج الملائم للحصول على هذا النوع من المعرفة والذي ينبغي على العلوم الإنسانية الاقتصار على استخدامه هو منهج العلوم الطبيعية.
- الموضوعية عند أنصار الوضعية هي اعتبار العالم الظواهر الإنسانية التي يدرسها كما لو كانت أشياء بلغة دوركايم، وكأنها صورة أخرى للظواهر الطبيعية والكيميائية والبيولوجية¹.

ودرس كثير من المهتمين بالعلوم الإنسانية، كعلماء الاجتماع وعلماء النفس والمؤرخون علومهم وفق الأسس المنهجية الوضعية، لقد سعى "دوركايم" إلى أن يكمل مسيرة "كونت" في تحديد ماهية علم الاجتماع واعتباره علم وضعياً. وأعلن السلوكيون (واطسن) أن علم النفس شعباً تجريبية موضوعية خالصة من العلم الطبيعي. كما انتشر المنهج الوضعي التاريخي بشكل واضح على يد المؤرخان "شارل سنيبوس" و"شارل لانجلوا" وأظهرا فيه إيمانهما بالحقيقة القائمة على التسلسل السببي للحوادث التي تتأكد تاريخيتها بشكل علمي².

ب- المنهج التأويلي وتأصيل علوم الروح عند دلتاي

إذا كان الرأي المتعلق بتمييز الدراسات الإنسانية، عن العلوم الطبيعية قد ظهر خلال الجدل والمناقشات التي دارت في القرن التاسع عشر حول اعتبار العلم الطبيعي كنموذج للعلوم الإنسانية، فلعل أول من صاغ هذا الرأي صياغة واضحة دقيقة، وبطريقة فيها من الجدة والابتكار ما لم يوجد في سابقتها الفيلسوف الألماني **فلهلم دلتاي*** عندما

1 بورنان خيرة: **اتجاهات ومناهج البحث في العلوم الإنسانية**، مرجع سابق، ص 168.

2 نفس المرجع، ص 169 .

*ولد دلتاي (1833-1911) **Dilthey Wilhelm** في بيبيرخ حصل على الدكتوراه من برلين عام 1864، وفي عام 1867 عين أستاذا للفلسفة في جامعة بازل ثم انتقل بعد هذا إلى كيل ثم إلى برسلو وأخيراً إلى برلين عام 1882 حيث

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج

ربط الهرمينوطيقا (التأويلية) بالقضية الإبيستمولوجية في العلوم الإنسانية. وبالنظر إلى التجديد الذي قام به دلتاي في الهرمينوطيقا؛ فمن حيث انتهى "شلايرماخر" بدأ "دلتاي" بالبحث عن فهم صحيح في مجال علوم الروح، وعمل على تطوير مقولات الهرمينوطيقا الكلاسيكية عند سلفه، منتحيا بها منحا جديدا إنه صاحب محاولة توسيع مجال الهرمينوطيقا- على حد تعبير غادامير- إلى أبعاد أرغانون لعلوم الفكر¹.

رأى "دلتاي" أنه من المحال تطبيق مناهج العلوم الطبيعية على علوم الإنسان، فالعلوم الطبيعية تعالج وقائع حسية بينما تعالج العلوم الإنسانية معاني باطنية ومن التناقض أن ن فرض طرقا لم تقم إلا عن طريق شروط معينة في العلوم الصحيحة وتطبيقها في العلوم الإنسانية، لذا إذا كان هناك منهج يراد تطبيقه فلا بد من تحديده عن طريق خصائصه الفعلية المجردة. لأن معرفة الإنسان من خلال الملاحظة الخارجية وتبادل المعلومات المادية عنه أمر غير ممكن فهو كائن ذو قصد ، ودوافعه يصعب شرحها وشرح أسبابها .

ولا يمكن فهم العلوم الإنسانية ولا المنهج الذي جاء به "دلتاي" إلا من خلال فهم (فلسفة الحياة)* عنده. فالحياة ليست مجرد واقعة بيولوجية من التعبيرات العضوية

بقي هناك إلى أن توفي عام 1911، وترجع أهمية دلتاي في تاريخ الفكر الفلسفي في تحليله المفصل للفهم وإلى بيان الطابع المميز للدراسات الإنسانية وإلى بيان أن هناك نوعا من التاريخ ليس هو تاريخ المؤسسات ولكنه تاريخ العقول البشرية ، وإلى اهتمامه بالهرمينوطيقا وبعلم النفس وأهم كتبه التي تحتوي على هذه المواضيع "العالم الروحي" أنظر إلى: محمود سيد أحمد: دلتاي وفلسفة الحياة، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الط2، 2005، ص13.

1 بورنان خيرة: اتجاهات ومناهج البحث في العلوم الإنسانية، مرجع سابق، ص192 .
*تيار فلسفي ظهر في الحقبة الإمبريالية إذ نجد مدافعين عنها على سبيل المثال برغسون والبراغماتية وعند كثير من الفلاسفة الألمان ولاشك أنها نتاج لهذه الحقبة فهي محاولة لتقديم إجابة فلسفية عن المشكلات التي ظهرت نتيجة للتطور الذي شهدته معظم بلدان أوروبا وخاصة من الناحية العلمية والسياسية والاجتماعية. وأيا كانت درجة الاختلاف بين أنصار فلسفة الحياة فإنهم يشتركون في عدة جوانب منها محاولة تفسير الحقيقة برمتها بواسطة الحياة. أنظر إلى محمود سيد أحمد: دلتاي وفلسفة الحياة، ص5.

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج
والمركبة والآلية، بل هي كما يصرح: "سوف أحصر مصطلح الحياة بالعالم الإنساني ومن ثمة فإن معناها يحدده المجال الذي يستخدم فيه وبالتالي لا يسمح بأي سوء فهم. إن الحياة تتكون من تفاعلات بين الناس"¹. ومعنى هذا أن الحياة الإنسانية بكل تعقيداتها تدخل فيها - باعتبارها تجمع لعدد لا حصر له من الأفراد- آمال الناس ومخاوفهم وأفعالهم والمؤسسات التي يقيمونها، والقوانين التي يسترشدون بها والديانات التي يعتقدون فيها، وكل الأعمال الأدبية والفنية والمذاهب الفلسفية، والنظريات العلمية.

و لتحقيق هدف فهم الحياة، استخدم "دلتي" مصطلح (الفهم *Comprehension*) مقابل مصطلح (التفسير - *Explication*)، وأعتبره أي (الفهم) القاعدة الأساسية للعلوم الإنسانية أو علوم الفكر ولأجل ذلك قرر "دلتي" "أننا لا نعرف العقل البشري بالدرجة نفسها أو الطريقة التي نعرف بها الأشياء، والعقل الإنساني لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال تفهم ومعايشة الآخر، أو كما قال: "نحن نفسر الطبيعة، أما علوم الروح فعلينا أن نفهمها"². ذلك أن الفهم يشكل الفعل الذي يضمن أفضل اتصال بالحياة ذاتها؛ فالفهم جهد نحو النفاذ، وراء الظواهر المدروسة، إلى الدلالات و المقاصد الإنسانية التي صبغتها الذوات على تجاربها المعيشة. إنه يقتضي نظرة إلى الواقعة الإنسانية في كليتها وشموليّتها تبتعد عن التشتيت و التجزئة.

ولقد أقام "دلتي" الهيرمينوطيقا بوصفها منهجا للعلوم الإنسانية على "نقد العقل التاريخي" (*CRITIQUE DE LA RAISON HISTORIQUE*) على غرار "نقد العقل المحض" (*CRITIQUE DE LA RAISON PURE*) لـ "كانط". ورأى أن العقل التاريخي بحاجة إلى وسائل تبرير علمية للمعرفة التاريخية بالطريقة نفسها التي للعقل المحض، فقد كان نقد الفهم التاريخي موضوع اهتمام "دلتي"، فوجد أن الإنسان تاريخي في جوهره بمعنى أن له بعدا أساسيا هو التاريخ فينبغي دراسة العقل الإنساني من زاوية التاريخ لأن الإنسان يعيش

1 محمود سيد أحمد :دلتي وفلسفة الحياة،مرجع سابق ، ص13.

2 نفس المرجع نفس الصفحة.

الفصل الأول..... العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج

في الزمان ويتحدد بأحوال وظروف تختلف باختلاف العصور والمؤرخ لا يمكن أن يفهم هذه العصور إلا بتصور آراء الناس الذين عاشوا فيها وآمنوا بها¹.

إن محاولة "دلتي" قد أعادت جانبا مهما في الإنسان ألا وهو الروح، هذا الجانب سيكون هو المحور الأساسي في فلسفة برغسون الذي ينتمي هو الآخر إلى تيار فلسفة الحياة. والسؤال الذي ماهو الجديد الذي سيأتي به برغسون؟ وهل المدخل الذي سيعتمده لمقاربة العلوم الإنسانية مقارنة منهجية سيكون هو نفسه المنهج التأويلي؟

1 عبد الغني بارة: الهيرمينوطيقا والفلسفة نحو مشروع عقل تأويلي،الدار العربية للعلوم ناشرون ش ذ م ل،بيروت،لبنان،الط1،2008م،ص187.

الفصل الثاني :



الحدس كمنهج عند برغسون

أولاً: مفهوم الحدس

ثانياً: طبيعة الحدس عند برغسون

ثالثاً: قواعد المنهج الحدسي.

رابعاً: الحدس وسيكولوجيا الأعمال

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية

أولاً: مفهوم الحدس

الحدس في اللغة: الظن والتخمين، والتوهم في معاني الكلام والأمر، والنظر الخفي، والضرب والذهاب على غير هداية. لقد جاء في لسان العرب « وحدس الأزهري: الحدس: التوهم في المعاني الكلام والأمر. بلغني عن فلان أمر وأن أحدس فيه: أي أقول بالظن والتوهم. وحدس عليه ظنه، يحدسه، ويحدسه، حدسا: لم يحققه. وتحدس أخبار الناس وعن أخبار الناس: تخبر عنها وأراغها (= طلبها) ليعلمها من حيث لا يعرفون به ... وأصل الحدس: الرمي، ومنه حدس الظن: إنما هو رجم بالغيب. والحدس الظن والتخمين. يقال يحدس بالكسر (أي كسر الدال): أي يقول شيئاً برأيه... وحدس الكلام عن عواهنه: تعسّفه ولم يتوقّه»¹.

أما الحدس اصطلاحاً فقد عرفه الجرجاني في قوله: «الحدس هو تمثيل المبادئ المرتبة في النفس دفعة من غير واختيار، سواء بعد الطلب فيحصل المطلوب»²، وعرفه إبراهيم مذکور بأنه: «الإدراك المباشر لموضوع التفكير، وله أثره في العمليات الذهنية المختلفة»³. والحدس الذي اصطلح عليه الفلاسفة القدماء من المسلمين مأخوذ من معنى السرعة في السير.

والحدس بشكل عام، هو اطلاع النفس المباشر على ما يمثله لها الحس الظاهر، أو الحس الباطن من صور حسية أو نفسية.

وقدم "أندري لالاند" في موسوعته دلالات مختلفة للحدس منها:

1- عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الط1، ص457، 1458
2- نقلا عن، جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، د.ط، 1982، ص452.
3- إبراهيم مذکور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة — مصر، د.ط، 1983، ص70.

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية

أ- معرفة حقيقية بينة(جلاء عقلي تام)، مهما تكن طبيعتها، تستعمل مبدأ ومرتكزا للاستدلال النظري، وتدور حول الأشياء وحول علاقاتها أيضا.

ب- نظرة مباشرة وفورية لموضوع فكري مائل الآن أمام الفكر ومدرك في واقعه الفردي.

ج- كل معرفة تأتي دفعة واحدة وبلا مفاهيم. ويستعمل شوبنهاور الكلمة في هذا المعنى الواسع جدا ويتداولها إلى أبعد حد. فالحدس بهذا المعنى لا يعطينا الأشياء وحسب، بل يعطينا علاقاتها أيضا، حتى أنه يقال على خواص الأعداد، والأشكال الهندسية، بوصفها تدرك دفعة واحدة بنظرة واحدة وبلا استدلال.

د- معرفة فريدة منفردة بذاتها، قابلة للمقارنة بالغريزة والحس الجمالي، تكشف لنا عن الكائنات بذاتها، في مقابل المعرفة النظرية العقلية والتحليلية التي تجعلنا نعرف الكائنات من الخارج، ويطلق اسم الحدس على هذا النوع من التولد الفكري الذي يجري من خلاله الانتقال إلى داخل الموضوع لأجل التطابق مع ما ينفرد به تاليا وما لا يمكن التعبير عنه.

ه- ضمان الحكم وسرعته؛ كالحدس الرياضي⁽¹⁾.

والحدس أنواع:

الحدس النفسي: ويعني ان الواقع الوحيد الذي يمكن إدراكه إدراكا مباشرا هو فكرنا وحالاتنا الشعورية كالشعور بالألم والشعور بالحزن والشعور بالفرح...إلخ.

الحدس الحسي: وهو إدراك الواقع الخارجي إدراكا حسيا مباشرا، باعتبار أن الحواس المختلفة تضعنا على اتصال مباشر مع أشياء موجودة في الخارج.

الحدس العقلي: وهو إدراك العلاقات، ويتخذ شكلين: الأول هو الحدس المبدع، وهو ضرب من الإدراك المسبق والغامض الذي لا يمكن عده معرفة واضحة تماما، بل هو

1- أندري لالا ند: الموسوعة الفلسفية ، ترجمة ، خليل أحمد خليل، ج 2، مادة: حدس، منشورات عويدات، بيروت - لبنان، ط 2، 2001، ص701، 704.

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية
توقع للعلاقات أكثر منه إدراك حقيقي لها. أما الشكل الثاني فيتعلق بحدس البداهة، وهو الذي يجعلنا ندرك، دون أي إمكان للخطأ، أو الشك، وضوح فكرة ما أو حقيقة ما.
الفلسفي للحدس: أدرك الفلاسفة منذ القديم أهمية الحدس كطريق من طرق المعرفة، ففي الفلسفة اليونانية تحدث أفلاطون وتلميذه أرسطو عن الحدس و نظرا إليه كتصور فوري للمبادئ الأولى، وبالتالي تعبير عن معرفة أكيدة لأنه فيها الفكر يصل مباشرة إلى محتوياته.

الحدس الميتافيزيقي: وهو الذي يسمح بالإدراك المباشر، إما لوجود معين وواقع معين، مثل الكوجيتو الديكارتي، أو هو إدراك للماهيات الخالصة، كحدس الماهيات عند هوسرل، أو الحدس الانفعالي للقيم عند تلميذه ماكس شيلر. وقريب من الحدس الميتافيزيقي، حدس الاشرائيين الذين يزعمون أنهم يرتقون من مشاهدة الصور والأمثال إلى إدراك الحقائق المطلقة⁽¹⁾. وقريب من الحدس الميتافيزيقي الحدس عند بعض الإشرائيين.

ثانيا: طبيعة الحدس عند برغسون

أ/ النقد والتأسيس للمنهج الحدسي.

يوجد مبدأ في الشعور والحياة وفي الأشياء لا يعيه العلم، هذه الدعوة هي نواة الفكر البرغسوني. ولقد توصل برغسون إلى ذلك من خلال انطلاقه من نقد الأنساق الفلسفية السابقة التي تجاوزت الروح وعبرت عنها بطريقة ميكانيكية. ولقد ركز "برغسون" في نقده لتلك الأنساق الفلسفية على نقطتين، تتعلق الأولى بنقد فكرة الزمن. وتتعلق الثانية بنقد منهج التحليل المستند على تصور خاطئ للمفاهيم وهو منهج اقتسمته الفلسفة والعلم حيث يعمل على تجاوز العمق والانخراط من ثم في السطح.²

- نقد الزمان المتقطع:

-جلال الدين سعيد : **معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية**، دار الجنوب، تونس، دط، 2004، ص 151.
2مجموعة من الأكاديميين: **موسوعة الفلسفة الغربية المعاصرة العرب**، إشراف وتحرير علي عبود المحمداوي، الج1، تقديم على حرب، دار الرباط، الجزائر، ط1، د.ت، ص165.

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية

قسم "برغسون" الوقت إلى نوعين، الوقت العملي الذي يقسم الساعة إلى ستين دقيقة وهو وقت ثابت لا يتغير ، والوقت النفسي وهو الوقت الذي يعيشه الإنسان ويحياه وهو بالنسبة إلى "برغسون" الوقت الحقيقي. فقد رفض المذاهب التي تتصور الزمان على غرار المكان من بينها النظرية النقدية وتصوراتها الإبيستيمولوجية "فكانط" قد سعى إلى تقديم معرفة موزعة بين الزمان والمكان ليؤديا معنى واحد، وأن الأمور التي تخرج عن هذا الإطار الزمكاني تكون مستحيلة في عالم الظواهر، ويكمن خطأ كانط في اعتبار الزمان مكانا متجانسا منفصلا تماما عن محتواه.¹

وانتقد "برغسون" كذلك نظرية "داروين" و"لامارك" إذ جعلوا كل شيء متعلق بالبيئة، والأنواع تتكيف مع الشروط والمقتضيات التي تتطلبها البيئة وبدونها ينتفي وجودها، وهنا جعلوا من التطور عملية ميكانيكية قابلة للإحصاء، فتغلغل التصورات الرياضية وخاصة العدد في مجال الفلسفة هو الذي شوه تفسير الزمان بالمكان وشوه الحقيقة²، وبالتالي الخلط بين فكرتي الزمان والمكان هو الأصل في نشوء المشاكل الميتافيزيقية التي تولدت أصلا من إنكار "زينون الإيلي" للحركة والتغير والقول بالثبات.

كما انتقد النزعة الترابطية في علم النفس التي تنقل الخطاب الرياضي من التصورات العلمية إلى قلب الشعور الإنساني، والتي ألغت الكيف ونظرت إلى الشعور نظرة خارجية وحولت التيار الدافق إلى مجرد نقاط رياضية يقول "برغسون" "فأصبحنا ندرك أنفسنا في الآنية ونتحدث عن الماضي حديث شيء زال ونرى في الذكرى حادثة غريبة، أو أجنبية على الأقل، نرى فيها معونة تقدمها المادة للروح، أما إذا أدركنا أنفسنا على حقيقتها في حاضر عريض، مرن إلى ذلك، حاضر نستطيع أن نطيله إلى غير حد نحو الخلق، بإقصاء الحاجز الذي يحجبنا عن أنفسنا شيئا بعد شيء"³، فيصبح علم النفس مثلا علم العلاقات والاستجابات لتضبط هذه الاستجابات في قانون عن طريق فروض

1جلال الدين سعيد : معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية،مرجع سابق،ص165.

2فريدة غيو: الديمومة عند برغسون،العدد العاشر، قسنطينة، ص87.

3هنري برغسون:الفكر والواقع المتحرك، ترجمة سامي الدروبي،مطبعة الإنشاء بدمشق، ص142.

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية
عامة مأخوذة من الملاحظة، ثم ينطلق علم النفس من هذا القانون الذي يشبه في صرامته القوانين الطبيعية لأنه محكوم بعلامات سكونية، لكن ما يؤكد برغسون هو ضرورة الولوج إلى الباطن والكشف عن الزمان الحقيقي أي الديمومة ، والحياة النفسية تتسم بجملة من التغيرات تعيش حالة من الاتصال لا الانفصال والديمومة لا تمثل الزمان الميكانيكي القابل للقسمة والقياس، بل هي الشعور الذي يلزم الذات الإنسانية هذا الشعور الذي لا يستطيع العقل ترجمته وتحديد النسبة فيه، فمثلا الفرح الحزن هي حالات نفسية كيفية ليس لها أي صلة بالكم.

وانتقد "برغسون" كذلك العلم في إهماله الكلي لزمن الحياة أو ما اصطلح عليه هو نفسه باسم الديمومة وهي وجود ملازم للحياة يتميز بمميزات مناقضة لخصائص العلم فالزمن هنا منفصل ينقسم إلى ما لا نهاية يمكن تجزئته إلى نقاط متجانسة، وحين الحديث عن الزمن هنا نجده دائما مقرونا بالمكان لما نقول الزمان نعود دوما إلى السرعة والمسافة التي يقطعها جسم "أ" على اتجاه مداره وقد اختيرت هذه الحركة من قبل العلم باعتبارها تمثل الزمن فتكون الحركة أحادية الشكل¹ . وهنا نلاحظ غياب كامل للذات وتجاوز كل ما هو متعلق بالشعور الداخلي والاكتفاء بما هو خارجي وذلك برصد التزامات والتكرارات الموجودة بين الأحداث ، فالمعرفة العلمية هنا كما يرى "برغسون" "محمولة على النظر إلى الأشياء في زمان مفتت مسحوق، حيث تعقب لحظة لا ديمومة لها لحظة لا ديمومة لها أيضا. فالحركة في نظر هذه المعرفة سلسلة من الأوضاع، والتغير سلسلة من صفات والصور على وجه العموم سلسلة من الحالات. إن هذه المعرفة تنطلق من السكون، و بترتيب السكنات ترتيبا رائعا"² .

- نقد منهج التحليل المستند على تصور خاطئ للمفاهيم.

1نورة بوحناش: إشكالية القيم في فلسفة برغسون،الدار العربية للعلوم ناشرون،الجزائر،1،2010،ص108-109.

2هنري برغسون: الفكر والواقع المتحرك،مرجع سابق،ص140.

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية

يعد نقد العلم في البرغسونية تابعا مباشرا لنقد العقل. و"برغسون" وهو ينتقد نسق العلم واجدا فيه صورة لعقيدة العقل ويقرر لا مشروعية البحث بمناهج العلم في مواطن الكيف كذلك¹. فالعقل تكون على غرار المادة الجامدة، لأنه نتاج تطور الحياة يقول "برغسون" "العلم مساعد العمل، والعمل يهدف إلى نتيجة، فالعقل العلمي يتساءل عما يجب أن يكون قد عمل حتى يتم الوصول إلى نتيجة معينة منشودة، أو يتساءل على وجه أعم على الشروط التي يجب إعدادها من أجل أن تحدث حادثة معينة، فهو يمضي من ترتيب الأشياء إلى ترتيب لها جديد"²، و العقل لا يصل سوى لمظاهر الأشياء ولن يصل إلى عمقها أبدا فهو حينما يشتغل في عالم المادة يصول ويجول ويشعر بالثقة الهائلة، بل يحقق نتائج مذهلة ولكن حينما يجرو على الذهاب إلى أبعد من ذلك ساعيا إلى استيعاب الحياة الباطنية يفقد ثقته في ذاته ويدخل في جو من عدم الراحة، وهو لا يدرك إلا الأشياء التي ترد عليه المنفعة" إن امن المستحيل أن ننظر إلى آلية عقلنا وفي تقدم العلم إلا ويصل إلى نتيجة: أن بين العقل والمادة تناظرا وتقابلا وتطابقا في حقيقة الأمر، فمن جهة أولى نلاحظ أن المادة ترتد في نظر العالم شيئا فشيئا إلى علاقات رياضية، ومن جهة أخرى نلاحظ أن الملكات الأساسية التي يتمتع بها عقلنا لا تعمل بدقة مطلقة إلا حين نتناول الهندسة"³.

"برغسون" كان مؤمن بالعلم لكن لم يكن يريد السقوط في عيوبه وهي قتل الحياة وجعلها صماء عن طريق تقسيمه وتزييفه للحقيقة وعدم البلوغ إلى عمقها الذي ما هو إلا تيار متدفق. فالعالم متصل الحلقات وليس مجزأً فالتجزئة عمل يقوم به العقل قصد السيطرة على الطبيعة السطحية لكنه لم يستطع أن يصل إلى كنه العالم ومعناه فيقول "برغسون" "إن الهدف الذي يرمي إليه العلم قبل كل شيء هو أن يجعلنا نتحكم في المادة... فقيمة النظريات العلمية إنما تقاس دائما بمقدار ما تهيئه لنا من سيطرة على

1نورة بوحناش: إشكالية القيم في فلسفة برغسون، مرجع سابق، ص108-109.

2هنري برغسون: الفكر والواقع المتحرك، مرجع سابق، ص138.

3المرجع نفسه، ص35.

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية
الواقع...لئن كان العقل مهياً للاستفادة من المادة فلا بد أن يكون قد تشكل على حسب
بنية المادة".¹

العقل جعل انفصال في الحياة ولم يهتم بماضي الإنسان الذي يعد أساسي في عملية
التدفق والخلق واهتم فقط بما يهيمه من ذكرى من الماضي من أجل خدمة مصالح معينة
وتفسير حقيقة ما متجاوزا أبعاد باطنية التي تعبر وتفسر كذلك مختلف الحقائق التي قلصها
العقل وقننها وتجاهلها فيذكر "برغسون" "لقد ظهر لنا دور الدماغ هو أن ينتخب في كل
لحظة، من بين الذكريات تلك التي تستطيع أن تثير العمل الذي يهيم به المرء وأن يبعد
الذكريات الأخرى فتعود إلى الشعور الذكريات التي يمكن أن تنصب في الإطار الحركي
الذي يتغير بلا انقطاع ولكنه تهيأ دائماً، ثم يبقى معداه في اللاشعور وهكذا يكون دور
الجسم هو أن يمثل حياة الروح وأن يرسم مفاصلها الحركية".²

فلسفة "برغسون" جاءت ردا مباشرا على كل صور الفكر الوضعي الذي قام
باستبعاد كلي للميتافيزيقا باسم العلم وكانت كل نتائجه المحصلة تعود إلى منهج المعرفة
المعتمد كلية على العقل وإلى الخضوع لطبيعة هذا العقل الذي يرتكز على تصور
برغماتي يربط بين الموضوع والغاية النفعية في إدراكه للحقيقة.³ "كونت" رأى أن
الوضعي هو مقابل للميتافيزيقي والمطلق والمتعالي وأن الوضعي هو مرادف لما هو
واقعي ونسبي وهو معطى مباشر في التجربة، وسلم بافتراض قانون الحالات الثلاث
"الحالة اللاهوتية، والحالة الميتافيزيقية، والحالة الوضعية جاعلا منه منطلقا لخدمة العلم،

في الحالة الوضعية يعرف العقل الإنساني استحالة الوصول إلى المفاهيم المطلقة
ويتخلى عن البحث في أصل ومصير الكون وعزل الأنا الباطني عن حدس المعرفة
فأصبح هذا القانون -قانون الحالات الثلاث- منطلقا رافضا لكل ما هو ميتافيزيقي فيقول
"برغسون" من باب التشكيك فيه "كيف يتم التحقق تجريبيا من قانون الحالات

1مرجع نفسه،الصفحة نفسها.

2 هنري برغسون:الفكر والواقع المتحرك،مرجع سابق،ص80.

3نورة بوحناش:إشكالية القيم في فلسفة برغسون،مرجع سابق،ص80.

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية
الثلاث...يبقى قانون الحالات فرضا عقليا لا نمتلك برهانا قطعيا على وجوده لأنه لا توجد مجالات تجريبية للتحقق من حدوث هذا القانون وتتابع أطواره واقعيا في الماضي، ولذلك فإن تقويض الاعتقاد بحتمية هذا القانون يقوي الدعوة لاستعادة التفكير في الميتافيزيقا فلا مانع من صعود السلسلة التي نزل فيها كونت ومراجعة الميتافيزيقا¹، "برغسون" أراد أن ينقذ الميتافيزيقا من استبداد العلم وطغيانه وسيادته لأن العقل ملكة قاصرة ولأن المنهج القادر على الكشف هو منهج يحتكم إلى منطق فوق منطق العقل.

ومن خلال الانتقادات السابقة ميز "برغسون" بين طريقتين للمعرفة مختلفتين الأولى هي طريق العلم أما الثانية فهي طريق الميتافيزيقا، فالعلم ومجاله الكم والامتداد والمكان ومنهجه التجربة يعمل أولا وقبل كل شيء في نطاق الرموز، أما الميتافيزيقا أو الفلسفة فموضوعها الروح ومنهجها التجربة الباطنية والروحية ومصدرها الحدس الذي أساسه التعاطف (*sympathie*) الروحي أو الغريزة السامية². ومعنى هذا أن الأولى تتمثل في المعرفة العلمية أما الثانية فهي المعرفة الميتافيزيقية التي تسعى للتخلص من كل تلك القيود والرموز والقوانين التي وضعها العلم، من أجل السير نحو المطلق والكشف عن الحقيقة الباطنية التي قدمها لنا العلم من الخارج متجزئة ومتفرقة.

ويدعو "برغسون" إلى عدم الخلط بين الطريقتين طريق المادة (العلم) وطريق الروح (الميتافيزيقا)، وبين المنفصل والمتصل، وبين المكان والزمان وإلى غير ذلك من الثنائيات الأخرى يقول "برغسون" " يجب أن نفرق إذن بين الأفكار التي تحتفظ بنورها لنفسها وبين الأفكار التي تنطلق أشعتها إلى الخارج فتضيء منطقة برمتها من الفكر فهذه الأفكار الأخيرة قد تبدأ بأن تكون غامضة من داخلها ولكن الأنوار التي تلقيها على ما حولها ترتد إليها انعكاسا وتنفذ فيها نفاذا ما ينفك يعمق فهي تملك قدرة مزدوجة

1نورة بوحناش: إشكالية القيم في فلسفة برغسون، مرجع سابق، ص80.

2- العربي ميلود: المنهج في الفلسفة وإمكانية تجاوز البرغسوني، مقال منشور في مجلة الكلمة نت، في شبكة الأنترنت <http://www.kalema.net/v1>.

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية
قدرة على أن تضيء ما حولها وقدرة على أن تضيء نفسها"¹. وإذا كان المنهج التجريبي
هو سبيل تحصيل المعرفة العلمية فإن الحدس هو السبيل الأوحى لمعرفة القضايا ذات
الطابع الميتافيزيقي. فما هو تعريف برغسون للحدس؟

ب/ تعريف الحدس عند برغسون

جاء الحدس عند برغسون مخالف عند من سبقه الفلاسفة كونهم بحثوا فيما هو
أبدي أما برغسون فقد ربطه بالواقع مجاله الحياة وموضوعه الروح والكيف والزمان و
منهجه العاطفة والوجدان. فالحدس عنده هو الوسيلة التي تمكننا من إدراك حقيقة الروح
بصيرورتها وتجدها المستمر أي الديمومة الباطنة الغير قابلة للانقسام والتحليل والتجزئة،
وهو تعاطف فكري أو تركيب من العقل والغريزة" يقول برغسون "الحدس الذي نتكلم
عليه سيتناول الزمان الداخلي قبل كل شيء إن هذا الحدس يدرك تعاقبا ليس بانضمام
يدرك نموا في الداخل ، يدرك امتداد غير منقطع للماضي في حاضر يجور على مستقبل
تلكم هي رؤية الروح رؤية مباشرة لا حجاب بعد ذلك"². فهو العملية الذهنية التي تدرك
الأشياء إدراكا مباشرا وتقدم لنا بخصوصها معرفة "مطلقة" تختلف عن تلك المعرفة
النسبية التي يعطيها لنا العلم وتنتقلها لنا في حركتها وتغيرها وصيرورتها أي انتقالها من
حال إلى حال.

والحدس ليس معرفة تلقائية تتم بدون مشقة بل تستلزم الكثير من الجهد والعمليات
الذهنية والحدس أعلى من العقل وهنا يذكر برغسون "فالحدس هو انتباه الفكر إلى الفكر

1هنري برغسون: الفكر والواقع المتحرك، مرجع سابق، ص32.

2هنري برغسون: الفكر والواقع المتحرك، مرجع سابق، ص27.

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية
زيادة بينما هو منتبه إلى مادة موضوعه، وهذا الانتباه الإضافي يمكن أن يربى وأن
ينمى على نحو منهجي فبذلك ينشأ علم الروح هو ميتافيزيقا حقيقية يعرف الروح تعريفا
إيجابيا بدلا من الاقتصار على أن ينفي عنها كل ما نعرفه عن المادة¹.

ويتضح دور الحدس عند برغسون في النقاط الآتية:

- التوفيق بين معرفتنا الماضية والحاضرة لبناء مستقبل أفضل.
- التمييز بين الواقعي وغير الواقعي عن طريق التفريق بين الحي وغير الحي بين العضوي واللاعضوي.
- التحرر من الأوهام ومغالطات العقل التصوري.
- دراسة العلوم المعيارية بطابعها الخاص بها، والذي يأخذ سمة الكيفي المعنوي.
- التوفيق بين ما هو كائن وما سيكون.
- الكشف عن المطلق والخلق والإبداع².

ج/ حدس الديمومة

اعتبر "برغسون" فكرة الزمان النفسي أو الديمومة هي الفكرة الأصيلة والمركزية لكل المسائل الفلسفية والتي تناولها في كل موضوعاته وفي كل جزئية تخص مذهبه فهي مركز ودائرة تفكيره، "برغسون" أراد أن يعيد الاعتبار إلى الجوانب الروحية المغيبة جراء انتشار النزعة الميكانيكية في العلم، وعدم قدرته على الوصول إلى حقيقة ديمومة الحياة فالحياة عنده ليست ساكنة ومتجمدة ومنفصلة بل هي متدفقة ومتحركة ومتصلة، مليئة بالتجارب الشعورية لا انقطاع فيها بين الأول والآخر أي تيار متدفق من الزمان هذا الزمان الذي لا يقاس مثل الزمان الرياضي ويتجلى هذا في قول برغسون "سنذكر تيار الحياة الداخلية متصلا غير منقسم، متصلا اتصالا جوهريا"³.

1 المرجع نفسه، ص 86.

2- نورة بوحناش: إشكالية القيم في فلسفة برغسون، مرجع سابق، ص 120، 123.

3 هنري برغسون: الفكر والواقع المتحرك، مرجع سابق، ص 27.

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية

الديمومة تعبر عن الحالات النفسية المرتبطة بالزمان إذ تفترض وجود ارتباط بين أجزائها ماضي وحاضر ومستقبل، ماض يرتبط بالحاضر من أجل بناء المستقبل وهذا يدل على صميم الديمومة إنما يستوجب وجود الإنسان الفاعل يذكر "برغسون" " عليهم أن يتصوروا جوهر الذات على أنه الديمومة نفسها. لقد قلنا يومئذ أن الذات لحن متصل اتصالاً لا انقسام له ولا انفصال له، فيه يدخل الماضي في الحاضر فيؤلف منه كلا غير منقسم"¹ وهذا معناه أنه لا توجد في الديمومة لحظة تعوض لحظة أخرى ولكن هناك تطور مستمر للماضي الذي يهباً المستقبل ويحمسه على التقدم.

إن الطريق لفهم زمان الديمومة يكون من اختصاص الرؤية أو الحدس فهي كما أشرنا تتعاقب مباشرة في حياة الروح خالصة وصافية معاشة من طرف الشعور ولهذا لا يمكن ترجمتها بصور مكانية، و الحدس يرتبط بالديمومة فلا يمكن فهمه إلا بالديمومة فهو مستغرق فيها، ودائرة الديمومة أوسع من دائرة الحدس، "برغسون" لم يفصل بين الرؤية والديمومة أي بين المنهج والمذهب ولا أدل على ذلك من أن مجرد الحديث عن المنهج يتضمن توغلاً في صميم مذهبه يقول "برغسون" "نظرية الحدس التي تصرون عليها أكثر من نظرية الديمومة، لم تتوضح إلا بزمن طويل بعد هذه الأخيرة إنها تخرج منها ولا يمكن أن تفهم إلا بها إنها حدس الديمومة"² بالتالي نظرية الحدس ونظرية الديمومة تتحدد قيمتهما في المزوجة بينهم والخروج بميتافيزيقا جديدة تبحث في واقع روحاني يكتسي الموضوعية في قمة تعاطفه مع ذاته³.

وفي إطار تأكيد "برغسون" على حقيقة الديمومة فرق بين نوعين من الزمان: الزمان الفيزيائي أي الآلي المستعمل في حياتنا اليومية والزمان الحي أي الديمومة، الأول زمن خاص بالجسم المتحرك في وسط متجانس وهو زمن المكان الخارجي وزمن العلم في حين أن الزمن الثاني هو زمن الشعور وهو زمن باطني سيلان داخلي نفسي لا يقبل

1 نفس المرجع، ص77.

2 نورة بوحناش: إشكالية القيم في فلسفة برغسون، مرجع سابق، ص116.

3 نفس المرجع، ص115.

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية
التقطع والإعادة والتكرار يقول "برغسون" " يجب أن نتحرر من عادات في التفكير والإدراك أصبحت طبيعية فينا، يجب أن نعود إلى الإدراك المباشر للتغير والحركة. وإليك نتيجة أولى يصل إليها هذا الجهد كل تغير وكل حركة فهما غير منقسمين إطلاقاً"¹.
"برغسون" حاول خلع صفة المكان عن الزمان التي تتجلى في العلوم الفيزيائية والميكانيكية فمثلا جسم في النقطة "أ" ينتقل إلى النقطة "ب" فيمكن أن يتوقف أو يتابع مسيرته فنكون أمام حركتين ومن هنا نقول أن الحركة من "أ" إلى "ب" يمكن أن تنقسم إلى عدة أقسام يقول برغسون "ولكننا بعد قطع المسافة نتخيل بأن المسافة المقطوعة مكان. ولأن المكان يقسم إلى غير نهاية ... والواقع أنه ما من سكون حقيقي أبدا إذا كنا نعني بالسكون انعدام الحركة تماما"².

فكرة الزمان والمكان خلال تاريخ الفلسفة كله يوضعان في صف واحد ويعاملان معاملة أمرين من نوع واحد و"برغسون" استطاع معالجة مختلف المسائل برفض هذا فيصف هذا الزمن بأنه زمن حيوي مرتبط بنا نحن وليس بالمكان، لأننا نحن المدركون ونحن من نستشعره فمادام الوعي في حالة استمرار دائم فإن الحال نفسه بالنسبة لأحوالنا النفسية فهي مترابطة وفي حال تفاعل مستمر مع بعضها إذ لا يمكن الفصل بينها وبالتالي يمكن القول بأن زماننا زمن نفسي ومل يؤكد قوله "كيف لا ندرك رغم ذلك أن ماهية الديمومة هي أنها تجري، و أننا بسكون نضمه إلى سكون لن نضع شيئا يجري؟ ليست "الحالات" هي الواقع. ما هذه الحالات إلا صور التقطناها نحن للتغير. أما الواقع نفسه فهو هذا الجريان، هذا الانتقال المتصل، هذا التغير ذاته، وهذا التغير لا ينقسم، بل إنه جوهري"³.

فالديمومة انتقال من حال إلى حال دون الخضوع لظاهرة التكرار أو التشابه فكل لحظة منها إبداع وخلق للجديد، وهي تعني تغيرنا في الزمان أي تغيرنا في كل لحظة من

1 هنري برغسون: **الفكر والواقع المتحرك**، مرجع سابق، ص157.

2 برغسون: **الفكر والواقع المتحرك**، مرجع سابق، ص158.

3 مرجع نفسه، ص8-9.

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية
لحظات وجودنا دون أن تتقطع الصلة بين الماضي والحاضر، فالحالات النفسية هي تراكم وتفاعل مستمر، تراكم للماضي الذي يستحيل أن يعود إلى زمنه. فالذات دوماً في حال تطلع للمستقبل. عن طريق شذرات الماضي الممتد في الحاضر من خلال الذاكرة يقول: برغسون "إنني أنتشق رائحة وردة وفي الحال تعود إلى ذاكرتي ذكريات غامضة من الطفولة والحقيقة أن هذه الذكريات لم يتم استدعاؤها من قبل أريج الوردة إنني أنتشقتها من خلاله الرائحة نفسها ولكن مرتبة بأفكار مختلفة"¹.

لا يمكن التنبؤ بالعمل الذي سنقوم به غداً إلا بشكله الخارجي فيقول برغسون " وكل جهد تبذلونه من أجل أن تتخليلوا المحتوى النفسي سلفاً. سيحتل زمانا يمتد ويمتد إلى أن يفضي إلى اللحظة التي يتحقق فيها الفعل. فلا يبقى هناك محل للتنبؤ"². بمعنى أن حالاتنا النفسية هي حالات لا متعينة إذ لا يمكن تحديدها لأنها حالات يسري فيها نهر الديمومة وليست أفعال قابلة للتحديد ونجد الأمر ينطبق على فكرة الحرية إذ هي قدرة غير محددة. ونحن نشعر بهذه الأخيرة بأفعالنا حيث لا يكون لها امتداد "المكان".

ثالثاً: قواعد المنهج الحدسي

إذا كان الحدس هو منهج برغسون، فهو حسب جيل دولوز « ليس عاطفةً ولا إلهاماً، أو انجذاباً مشوشاً، بل هو منهج مُعدّ، وحتى أحد مناهج الفلسفة الأكثر إعداداً. له قواعده الصارمة، التي تشكل ما يسميه برغسون (الزمان) في الفلسفة»³. ومعنى هذا أن مفهوم برغسون للحدس يتجاوز أو يتعارض مع التعريف الشائع لمفهوم الحدس على أنه الإدراك المباشر للأشياء دون توسطات، فثمة قواعد تحكم المنهج البرغسوني .

1هنري برغسون: بحث في المعطيات المباشرة للوعي، ترجمة: حسين الزاوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان، الط2009، 1، ص150.

2هنري برغسون: الفكر والواقع المتحرك، مرجع سابق، ص12.

3-جيل دولوز: البرغسونية، ترجمة أسامة الحاج، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت — لبنان، ط1، 1997، ص5. —

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية

والحدس باعتباره منهجا فإنه يتأسس على أنقاض القواعد التي سنها علم النفس بوصفه علما يجعل من الحدس منهجا تحليليا لا يرى في الشخصية النفسية إلا أحوالا متنافرة ، فيفقد هويتها ووحدتها الباطنية لذلك ينبغي على الحدس أن يصوغ قواعد تخصه وتميزه، و يكون يضا هي في دقته المنهج الديكارتي في وضوحه وتميزه، وإذا كان "ديكارت" قد سن قواعد المنهج لتوجيه الفكر في البحث عن الحقيقة فإن "برغسون" بدوره يجعل من الحدس تجربة البحث عن الحقيقة الحية. والمنهج الحدسي عند "برغسون" هو حسب جيل دولوز ليس إلهاما وليس عاطفة بل هو أحد مناهج الفلسفة الأكثر دقة له قواعد الصارمة والتي تشكل ما يسميه "برغسون" "الزمان" في الفلسفة وهذه القواعد هي ثلاث حين يقول جيل دولوز "إن برغسون يميز بشكل أساسي ثلاث أنواع من الأفعال التي تحدد قواعد المنهج الأول يتعلق بطرح المشكلات وخلقها، والثاني باكتشاف اختلافات حقيقية في الطبيعة ، والثالث بادراك الزمن الحقيقي"¹.

القاعدة الأولى: الحدس هو الذي يبتدع المشكل الحق.

تتعلق بطرح المشكلات وخلقها وبكيفية تدبير أولي لمعنى السؤال مؤسسا لإمكانية التوصل إلى الحق أي محددًا لإحدائية طرح المشاكل من جهة ما هو طرح يحيل إلى الحلول دون أن يعينها فقد تطرح المشكلات وفي داخلها العديد من التناقضات فيقول "برغسون" "في رأيي إن المشكلات الميتافيزيقية قد أسّء طرحها عامة ، وإنها كثيرا ما تتجلى من تلقاء نفسها متى صحح طرحها أو إنها مشكلات صيغت صياغة قائمة على وهم فهي تزول متى أمعنا النظر في حدود الصيغة"². يتحدد شرط امكان هذه القاعدة في النقاط التالية:

1 جيل دولوز: البرغسونية، مرجع سابق، ص7.

2 هنري برغسون: الفكر والواقع المتحرك، مرجع سابق، ص105.

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية

- أن اختيار المشاكل من جهة صحتها أو خطئها ينبغي أن يحمل داخل المشاكل نفسها إذ يقول "جيل دولوز" "نقل امتحان الصحيح والخطأ إلى المشكلات بحد ذاتها وكشف المشكلات الزائفة، والمصالحة بين الحقيقة والخلق على مستوى المشكلات"¹.

- أن ابتداء (INVENTION) المشاكل لا يكون إلا بعد اضمحلال وتبدد المشاكل الخاطئة، بيد أن ابتداء المشاكل يقتضي قدرا من الحرية، أي تجاوز للقصود التعليمي الذي يقصد تعيين المطلوب الأقصى للسؤال، فالمشكل لا يكمن في السؤال بل في وضع السؤال الذي لن يكون سؤال المعلم للمتعلم يقول جيل دولوز "المعلم هو الذي يعطي مشكلات ومهمة التلميذ أن يكشف حلها. وبذلك يجري ابقاؤها في نوع من العبودية والحرية الحقيقية تكمن في القدرة على اتخاذ القرار، على تشكيل المشكلات بحد ذاتها"²، وابتداء المشاكل لا يعني اكتشافها وإنما يعني اختراعها يقول "جيل دولوز" "فالاكتشاف يتناول ما هو موجود سابقا بالفعل أو بالقوة، كان مؤكداً إذ أنه سيجيء عاجلا أو آجلا. أما الاختراع فيعطي الوجود لما لم يكن موجودا، لما كان يمكن ألا يجيء أبدا"³.

هناك قاعدة مكملة للقاعدة الأولى هي كالتالي: تنقسم المشكلات الخاطئة إلى صنفين اثنين "المشاكل الغير موجودة" *PROBLEMESENEXSTANTS* والتي تنتج إما عن زيادة أو نقصان في الألفاظ التي تكونها، و"مشاكل سيئة الطرح" *PROBLEMESMALPOSEE* فتمثل خليطا من الألفاظ سيئة التحليل.

إن المشاكل الغير موجودة أصلا هي مشاكل مفتعلة فهي حصيلة تراكمات لفظية، إننا نصطنع مشكل كلما أضفنا لفظا أو حذفنا آخر ويعطي "برغسون" مثلا عنها كمشكلة اللاوجود ومشكلة الفوضى أو مشكلة الممكن فيقول "نخلط بين الزائد والنقص نتصرف كما لو أن اللاوجود كان قائما قبل الوجود والفوضى قبل النظام والممكن قبل

1 جيل دولوز: *البرغسونية*، مرجع سابق، ص 8.

2 جيل دولوز: *البرغسونية*، مرجع سابق، ص 8.

3 نفس المرجع، ص 8.

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية
الكينونة كما لو أن الوجود جاء ليملأ فراغا والنظام لينظم فوضى سابقة...¹. وأما المشكلات المساء طرحها والتي تمثل النموذج الثاني من المشكلات الزائفة، هذه المشكلات تكاد تدخل آلية أخرى وتجمع بين أشياء ينبغي التفريق بينها تختلف من حيث طبيعتها كأن نسأل مثلا "هل ترد السعادة إلى اللذة أم لا" والحال أن لفظ اللذة يتضمن حالات مختلفة لا يمكن ردها إلى السعادة، فكلما أضفنا حرفا أو حذفنا آخر وتجاهلنا الفروق في الطبيعة نشأت المشاكل الخاطئة.

القاعدة الثانية: الحدس هو مبدأ التفريق بين الأشياء.

ثمة فكرة أساسية يؤكد لها "برغسون" ألا وهي الفرق الجوهرية بين المادة الجامدة وهي موضوع العلم والوجود الحي حيث نكون في صميم الحياة أي صميم الإرادة والشعور، وكذلك إلى عدم الخلط بين المكان والزمان، وبين الساكن والمتحرك، وبين التحليل والتعاطف الروحي، وبين المنقطع والمتصل، وغير ذلك من الثنائيات التي تختلف في الطبيعة.²

التفريق بين الأشياء هو من الأمور الحاصلة غير أن التقطن إليه يوكلها "برغسون" إلى الحدس إذ تتحدد مهمته في رد الألفاظ والأشياء إلى تمفصلاتها الطبيعية أي بالتفريق بينها تفريق يتجاوز الفرق في الدرجة إلى الفرق في الطبيعة. وبالتالي يتعين على الحدس التفريق بين كل ما يشكل فرق في الطبيعة وخاصة في التفريق بين الزمان "الديمومة" والمكان.

1 نفس المرجع، ص12.

2 براشد بخدة:مذكرة ماجستير في فلسفة القيم في الفكر الغربي الحديث والمعاصر بعنوان الأخلاق والدين في فلسفة هنري برغسون، تحت إشراف بشيبة محمد، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، 2003-2004، ص57.

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية

والقاعدة المكملة للقاعدة الثانية وظيفتها هي أن تبين كيف أن مشكلة ما ،لما

كانت مطروحة بشكل جيد ،تنزع بذاتها إلى حل ذاتها¹.

القاعدة الثالثة: طرح المشكلات وحلها تبعا للزمن لا للحيز.

الحدس يفتضي الزمان ويكمن في التفكير بعبارات الزمان، وأن نفكر حدسيا

معناه أن نفكر في الديمومة يقول "الزمان الواقعي ... لا يمكن أن تتناوله الرياضيات ،إذ

لما كان جوهره أنه يمضي فما من جزء من أجزائه يمكن أن يكون حاضرا حين يحضر

جزء آخر ،وعلى هذا فإن وضع جزء فوق جزء بغية القياس أمر مستحيل"²،فهذه المهمة

التي تعنى بادراك الديمومة هي مهمة الحدس وليس العقل يقول برغسون "و الحق أن هذه

المشكلات عن أننا نعبر عما هو خلق بما هو صنع.فالواقع نمو كلي غير منقسم،ابتكار

متدرجديمومة"³.هذه القاعدة تجمع بين نظرية الحدس ونظرية الديمومة وبالتالي فإن طرح

المشكلات وحلها لا يكون إلا في علاقتها بالزمان وليس بالمكان أي انطلاقا من نظرية

الديمومة التي تضطلع بمهمة التفريق بين الأشياء تفريقا في الطبيعة لا في الدرجة.

فلنأخذ قطعة السكر مثلا فإننا نجد فروقا في الدرجة بينها وبين أي شيء آخر

،لكن لها دوام يتكشف جزئيا في صيرورة ذوبانها.⁴إن إحساسي بذوبان قطعة السكر يمثل

صورة عن ديمومتي الخاصة،وإن ديمومتي الخاصة هي التي تفرق بين الأشياء تفريقا في

الطبيعة.ولكن هذا لا يتمثل إلا إذا مثلت هذه الديمومة فرقا في الطبيعة أي إذا كانت هي

متميزة عن جملة من الديمومات.

وما نخلص إليه هو أن الحدس باعتباره منهجا بقواعده الثلاث يشكل طريقة طارحة

للمشكلات أي نقد المشكلات الزائفة وخلق المشكلات الحقة.

رابعا: الحدس وسيكولوجيا الأعماق.

1جيل دولوز: البرغسونية،مرجع سابق،ص27.

2هنري برغسون: الفكر والواقع المتحرك،مرجع سابق،ص3.

3هنري برغسون: الفكر والواقع المتحرك،مرجع سابق،ص105.

4جيل دولوز: البرغسونية،مرجع سابق،ص30.

الفصل الثاني..... الحس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية أ/ الحتمية والحرية الإنسانية:

كان نقد "برغسون" لفكرة الزمن تمهيدا لحل مشكلة الحرية بوصفها تجربة معيشة فهي بدأت ككل الموضوعات التي قدمها وذلك بالتححرر من المستوى الإستمولوجي الذي كان سائد عند الفلاسفة والعلماء ونقد ما قال به الماديون والتحرر كذلك من كل الأطر المفهومية المشيئة للواقع، ثم بعد هذا التحرر ندخل إلى النسق الشعوري لنعثر على الحرية كواقع معيش. فالديمومة تتأسس على الاتصال والامتداد الذي لا يقوم على تكرار عناصر الحياة النفسية بل يفضي إلى الترقى المستمر للشخصية الإنسانية الحرة ولذلك تقود الديمومة مباشرة إلى إثارة مشكلة الحرية.

ذهب دعاة الحتمية إلى إنكار الحرية مستندين إلى فكرة العلم القائلة بمبدأ العلية والآلية، وأن الجهاز العصبي باعتباره مادة حية فإنه يخضع لنفس القوانين التي تخضع لها المادة وأن الحركة الناتجة عن الدماغ هي ردود أفعال لمثيرات خارجية، وهذا ينطبق كذلك على العواطف وحياتنا الشعورية¹. لكن الظاهرة الإنسانية لا يمكن أن تنطبق عليها الحتمية لأن الإنسان مضاد للمادة فهو يملك الحرية وقادر على التذكر والاختراع، و الحتمية تكون مطلقة إلا إذا كانت اللحظة الحالية محددة من خلال اللحظة السابقة وبالتالي قد سقط مبدأ الحتمية وأن اللحظة السابقة لم تعد هي وحدها تتحكم في اللحظة الراهنة وهنا يذكر "برغسون" "أن الحتمية الفيزيائية في شكلها الحديث جدا مرتبطة بشكل حميمي بالنظريات الميكانيكية أو بالأحرى الحركية"². لكن ثمة اختلاف بين الإنسان والمادة بحيث أن المادة لا ذاكرة لها لذا فهي تخضع للحتمية وهذه الأخيرة تؤثر في الظواهر المادية ولا تؤثر في الظواهر الإنسانية لأن الإنسان يتذكر ويقدم تبعا لذلك.

تبدو الحرية تطورا مباشرا لمفهوم الجهد والإرادة إذ يكشف الشعور الباطني عن طاقة خلاقة نستدل بها على وجود حرية وجودا واقعيًا، فهي حسب "برغسون" تقتضي

1نورة بوحناش: إشكالية القيم في فلسفة برغسون، مرجع سابق، ص182.

2هنري برغسون: بحث في المعطيات المباشرة للوعي، مرجع سابق، ص135.

الفصل الثاني..... الحس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية
جهدا شاقا ومتواصلا إذ تقتضي أن نتخلص من كل التصورات العامية وكذا التصورات العلمية وأن نتخلص من العادات العقلية والعادات الاجتماعية ومن لغتنا الدارجة وألفاظنا المنتشرة، حتى يتسن لنا الولوج إلى حياتنا الباطنية لمتابعتها في وديمومتها وحريتها وهذا التحرر سيكون نابع من أعماق الذات فقط¹.

والحرية كما قال عنها "برغسون" ليست حرية اختيار أو تردد بين اختيارين ممكنين، ولكنها تحرر يمارسه الأنا، والحرية بالتالي ليست تعبيراً أو ترجمة خاصة بالقدرة على القيام باختيار معقول لا يربطه أي رابط بشيء من الأشياء. ولكنها سببية نفسية وتعيين لفعل الأنا برمته². أي أن الحرية ليست فعل إرادي نقوم به بغية الموازنة بين اختيارين كما يرى الماديون، بل هي دفقة الشعور نفسه ودفعته الحيوية العفوية التي لا مكان فيها للتدبر والاختيار والموازنة ولا حتى للتنبؤ بالمستقبل، يقول "برغسون" في هذا الصدد: "حاولوا أن تتصوروا اليوم الفعل الذي ستقومون به غدا. وإن كنتم تعرفون ما أنتم فاعلون قد يستحضر خيالكم الحركة التي ستقومون بها. أما ما ستفكرون فيه وما تشعرون به عند إجراء هذه الحركة فإنكم لا تستطيعون أن تعرفوا عنه شيئاً اليوم"³. لأن حياتنا النفسية غدا تضم كل اللحظات التي عشناها فكل فعل من أفعالنا يضاف إلى الماضي ويمتزج به ويؤسس شخصيتنا، فأفعالنا تصدر عن شخصيتنا وفي نفس الوقت تضاف إليها .

ب/ طبيعة الذاكرة

من المستحيل حسب "برغسون" دراسة الظاهرة الإنسانية بالمناهج العلمية التي تجمد الروح وتتجاوزها ولأن الحياة أكثر من الأجسام المادية، إنها قوة نامية نحو التطور والخلق المستمر نحو الجديد لأفعال حرة لا يكون فيها أي ارتباط بين علة ومعلول يظل فيه الماضي حياً وباقياً في الحاضر عن طريق الذاكرة يقول "برغسون": "نشاهد الوعي

1نورة بوحناش: اشكالية القيم في فلسفة برغسون، مرجع سابق، ص 193 .

2هنري برغسون: بحث في المعطيات المباشرة للوعي، مرجع سابق، ص 10.

3هنري برغسون: الفكر والواقع المتحرك، مرجع سابق، ص 11.

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية
أي الذاكرة مقرونة بالحرية، أي أخيراً استمرارية الخلق ضمن مدة يتوجد فيها حقاً
نموه: مدة تستطيل، مدة يبقى فيها الماضي غير منقسم، ينمو ويكبر كالنبتة، كالنبتة
السحرية التي تبتكر في كل لحظة شكلها ورسم أوراقها وأزهارها"¹، فالذاكرة عند
"برغسون" لا تمثل قوة نلجأ إليها أحياناً عندما نريد لأن أحداث الماضي تتكسد بعضها
فوق بعض والماضي نفسه يلاحقنا بكليته وهو ينفذ في حياتنا كلها وخاصة في اتجاهاتنا
السلوكية.

الإنسان يتواصل مع حاضره بواسطة الإحساس والإدراك، ويتواصل مع حاضره
ومستقبله كذلك وليس غريباً أن تكون الذاكرة هي جسره للعبور إلى الماضي فهي
الخاصية المهمة التي تضمن وحدة وكلية الشخصية الإنسانية إذ تمكن الإنسان من تلقي
التأثيرات الخارجية وتسمح بالنمو التدريجي لسلوكه وبالتالي الارتقاء به بفضل تراكم
خبرته الفردية وهي "الذاكرة" تعد كفعل حيوي يود الإنسان القيام به في الوقت الحاضر
وفي ربط كل عنصر بما سبقه ليحقق تكيفه مع العالم وهنا يقول: "إن الديمومة الداخلية
هي الحياة المستمرة لذاكرة تبسط الماضي في غمار الحاضر سواء انطوى الحاضر
بوضوح على صورة الماضي التي لا تفتأ تتضخم بلا انقطاع أو بالأحرى قام شاهداً بما
هو عليه من تغير كفي مستمرٍ عبئ الذي يزداد ثقلاً باستمرار والذي يجره المرء
وراءه كلما تقدمت به السن، ولولا هذا بقاء للماضي في الحاضر لما كانت هناك ديمومة
ولكن هناك تآن فحسب"².

فالذاكرة إذن هي حاملة للتاريخ الإنساني تحفظ كل صور الماضي وتستعيد هذه
الصور عن طريق عملية التذكر. ويقدم برغسون تعريفاً للذاكرة قائلاً: "الذاكرة هي وعاء
البقاء وخاصة الزمان تحفظ لنا الكثير من صور الماضي المتراكمة لكي تكون لنا عوناً
في حياتنا، وكلما اتسع معها نطاق الاختيار أنه يعرض للإنسان مؤثرات عدة تستدعي

1هنري برغسون: الطاقة الروحية، ترجمة علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الط1،
1991ص19.

هنري برغسون: مدخل إلى الميتافيزيقا، ترجمة: محمد محمد علي أبو ريان، د.ط، د.س، ص2.446.

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية
منه سرعة الاختيار للتلبية المناسبة لكل هذه المؤثرات. هذه الأخيرة تكون في الإنسان
إدراكا يستند به في كل ما يفرض له من مشكلات".¹

إن الذاكرة عند "برغسون" وعاء تجمع المعلومات والصور حسب بعدي:
الزمان والمكان يستفيد منها الكائن الحي متى أراد، وأن الإدراك يتناسب مع القوة التي
يمتلكها الكائن الحي في اتخاذ القرار الصائب، وهنا يواجه برغسون نقده للماديين
فيقول: "إن الكائن الحي مركز للعمل في الحقيقة وهو كتلة فعالة مؤثرة، لأنه يضيف إلى
العالم قوة ونشاطا، ليس الإنسان كآلة ميكانيكية كما صورها الماديون، لا حول وقوة
لها، بل مركز منبه وقوة خلاقة متطورة، وينتج عن الإدراك حرية الإرادة. كوننا أحرار
فإننا نعرف من نفع".²

إن "برغسون" يرفض المادية وأول ما يرفضه أنها تستمد قوتها من واقعها، إن
الوعي تابع للجسم وهو في ظل هذا يرى أنه لا وجود لصلة بين الظواهر النفسية
والظواهر الفيزيولوجية ولا حتى صلة توازي والدليل على هذا أنه يقر بوجود الذاكرة
الخالصة.

ولقد ميز "برغسون" بين نوعين من الذاكرة: الذاكرة الميكانيكية الآلية وهي جسمية
اكتسبت من التكرار، وذاكرة خالصة تقوم على هيئة صور الذكري، فالذكري عند
برغسون ليست في العمق سوى اللحظة الزمانية الفردانية الأصلية التي لا يصح نسبتها
إلى وجودنا الحسي، فبينما العادة تستخدم الماضي فإن الذاكرة تتمثله وتخليه بكل ملامح
الماضي من دون علاقة مع الفعل فالعادة هي فعل الذاكرة تأمل أي إعادة انبعاث الماضي.
مثلا تعرف كلب على صاحبه وتوجه إليه، ولكنه يعود إلى الذاكرة العادة وليس الذاكرة
الخالصة، الحيوان هو الآخر ليه صور ذكريات، ولكن لا تهتم بالشكل الذي يفصله عن

1نقلا عن ويل دورانت: قصة الفلسفة من (من أفلاطون إلى جون ديوي)، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، منشورات
مكتبة المعارف، الطب6، بيروت، 1988، ص558-559.

نقلا عن ويل دورانت: قصة الفلسفة من (من أفلاطون إلى جون ديوي)، مرجع سابق، ص2.559

الفصل الثاني..... الحدى كمنهج فى فهم الوقائع الإنسانية

الحاضر، إذا أردنا استدعاء الماضي على شكل صورة يجب التخلص من الفعل الحاضر، أي الاهتمام بما هو غير نافع، والإنسان هو الوحيد الذي لديه هذه القدرة.

والعلاقة بين الذاكرتين أن ذاكرة العادة تجمع دائماً جماع الذاكرة التلقائية، ولا تأخذ منها إلا بالمقدر الذي يوضح ويفسر الموقف الراهن، والخدمة الوحيدة التي تقدمها الذاكرة التلقائية للذاكرة العادة أنها تتركب لها صور ما مضى أو ما هو موافق للوضعيات المماثلة للوضعيات الراهنة لتوضح لها اختيارها.

إن الظروف الموافقة للإدراك الأول، تعود إلى الذهن لترسم حول الصورة الحالية إطاراً ليس الإطار المدرك حالياً، والتعرف إذن هو ربط إدراك حالي بالصورة الموجودة قديماً مجاورة لها، وتأتي نتيجة تجاوز أو زوبان الإدراك مع التذكر، وذلك وفق مبدأ التشابه. والتعرف نوعان:

- **تعرف لحظي:** يقوم به الجسم وحده وبدون تدخل أي ذاكرة ضمنية وهو يتعلق بالأفعال ولا علاقة له بالتصورات

- **التعرف الانتباهي:** قوامه الانتباه وجوهره التصور لا الفعل، وهنا يضعنا التعرف وجهها لوجه أمام الذكريات الخالصة. فأثناء التعرف يتم الانتقال من الداخل إلى الخارج، من المحيط إلى المركز، من الفكرة إلى الإدراك، وهذا الانتقال يتم بفضل جهد الانتباه، أو توتر الشعور الذي فيه نستخرج النفس من الذاكرة الخالصة.

ويجعل "برغسون" الذاكرة من طبيعة روحانية شأنها من ذلك شأن الحياة النفسية الداخلية وهي بالتالي غير قابلة للضياع أو فقدان لأنها غير متمركزة في أي جزء من أجزاء الجسد ينتج عن ذلك أن الماضي يحتفظ به كاملاً في الذاكرة، فحياتنا الماضية حسب "برغسون" هي هناك في موضع غير مادي، ولكنها محفوظة بكامل تفاصيلها على فلو كان للذاكرة محل محدد في الدماغ إذن لاخفت أجزاء كاملة من الذاكرة في حالة حدوث إصابات معينة في المخ.

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية

يرى "برغسون" أن الأولى أن نشبه الدماغ بالمكتب المكلف بتوصيل الإشارات والرسائل من جهة لأخرى. كما أن وظيفة الدماغ ليست القيام بواجبات الحياة الروحية بالمعنى الدقيق ومن جهة أخرى فإن الذاكرة ليست إدراكا حسيا وقد ضعف وإنما ظاهرة مختلفة اختلافا جوهريا فهي الإدراك الحسي.¹

إذن "برغسون" يؤكد على أن الذاكرة ليس مركزها الدماغ لأن الروح هي التي تحمل ذكرى الإنسان وهي لا تتلف بل خالدة إذ يمكن على سبيل المثال أن يستعيد شخص ما ذاكرته نتيجة انفعال نفسي، وهي ليست إدراكا حسيا بل كصفات شعورية تتسم بالحرية وليس أدل من هذا من الدليل الذي قدمه أصحاب التحليل النفسي الذين نظروا إلى الذاكرة نظرة لاشعورية إذ أن أغلب مدركاتنا تنزل إلى عمق الذاكرة حيث تستقر وتمارس نشاطها اللاشعوري ونظرية الكبت خير دليل على هذا البعد النفسي للذاكرة فيقول "إننا ندرك وجود الشعور إدراكا مباشرا بديهيا أكثر من أي شيء آخر، والروح هو الشعور والشعور إنما هو الذاكرة قبل كل شيء".²

ويرفض "برغسون" أفكار الألبين القائلة بأن الكائن الحي هو جسم فقط بل إن الإنسان هو ثنائية روح وجسد، ولأن الإنسان في تغير مستمر، ومادامت الروح ديمومة فهو إذن وحدة متكاملة تحمل في طياتها روح النمو والتواصل لتحقيق الوجود.

والشعور يمتد من مستوى الحلم فيغوص في الماضي ويمتد إلى مستوى الفعل المتموضع في الحاضر ففي الحلم تلتقي الأنا مع الذاكرة وفي الفعل تلتقي الأنا مع الشعور بالجسم "لقد بين التحليل السيكولوجي لوحده أن في الذاكرة مستويات متتالية للشعور، ابتداء من مستوى الحلم أكثر المستويات اتساعا، وكأنه قاعدة هرم إذ يتموضع عليه كل الماضي

1نقلا عن بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة: عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، العدد 165، الكويت، سبتمبر 1990، ص148.

2هنري برغسون: الأعمال الفلسفية الكاملة، ترجمة: سامي الدروبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 2008، ص72.

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية
الشخصي إلى غاية نقطة شبيهة بالقمة، أين تصبح الذاكرة ليست سوى الإدراك الحالي مع الأفعال المتولدة التي تمتد له".

وبالتالي فالذكريات التي تجمعها ديمومتي تحفظ، والذكرى في أغلب الأحيان لا شعورية، ولكنها في سعي دائم إلى أن تدخل مجال الشعور والفعل وهي فعل عاجز لأنها لا يمكن أن تدخل الشعور إلا لهدف وغاية عملية فمجموع ذكرياتي هي التي تشكل طبعي أي كيفية تعاملي واستجابتي لمختلف المواقف الراهنة وبالتالي فالذكريات التي ننساها هي الذكريات التي لا قيمة لها على مستوى الفعل وهي الغير نافعة.

الماضي يحفظ كلية ولا يضيع منه شيء ولكنه لا يظهر إلا من أجل الفعل ولما تتراخى متطلبات هذا الأخير يمكن للأنا أن تنغمس من جديد في الماضي ويمكن تفسير الحلم على أنه انغماس الأنا في الذكريات الخالصة يقول: "ولإثارة الماضي على شكل صورة، يجب التخلص من الفعل الراهن، يجب معرفة التعلق بما هو غير نافع أي أن يريد الإنسان أن يحلم"¹. وهذا يعني أن الأنا التي تحلم لا تهتم بالفعل ولكن اليقظة معناها الإرادة فالحلم يعيش في الماضي بمقاييس التي لا يهتم فيها بالحاضر.

وبهذا فمادامت الروح هي الديمومة والذاكرة فلا يمكن انكار أن الحياة المعنوية الواعية ذات الدوام المتجدد لا يدركها إلا الحدس وعليه يميز برغسون بين العقل كوسيلة لإدراك الأجسام المادية والوقائع المحسوسة وبين الحدس كوسيلة باطنية للإدراك المباشر لكل ما هو كفي زمني فيؤكد أن **التعقل يمكنه القيام بالتحليل وكشف جوهر الأشياء** وتحويلها إلى قوانين واضحة لكنه في الوقت نفسه يعجز عن إدراك الحركة الدائمة اكتناه الوجود الحيوي الزمني الذي هو من اختصاص الحدس.²

وبالتالي فالعقل يدرك الحقائق الجزئية ويجعلها وسيلة لخدمة الحياة العملية بينما يقوم الحدس بعملية تطلع كلي والتحام مباشر بالحقيقة لكشف جوهرها، ولأن مجال الحياة

1 هنري برغسون: الطاقة الروحية، مرجع سابق، ص 87.

نقلا عن: سماح رافع محمد: المذاهب الفلسفية المعاصرة، مكتبة مدبولي للنشر، الط1، بيروت، 1973، ص 2.71

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية
المعنوية الواعية ذات التجدد والديمومة وسيلة إدراكها الحدس وليس العقل وعلى هذا فإن
طبيعة الذاكرة هي نفسية معنوية.

ج/ اللغة والفكر:

إذا تأملنا موقف "برغسون" نجده لا ينكر توفر اللغة كوسيلة تخرج الإنسان
من الجهل إلى المعرفة إلا أنه يعتبرها أداة غير كافية نظراً لطابعها المحدود مقارنة مع
الموضوعات اللانهائية، فالعقل يتدخل على استمرار ليضفي على الكلمات دلالات جديدة
من خلال عملية إلحاقها بأشياء لم تكن ضمن اهتماماته قبلاً وبهذه الطريقة ينقل العقل
الأشياء من المجهول إلى المعقول، ومن ثمة يرى برغسون أن العقل يستعمل باستمرار
الطريقة التي ألفها في تعامله مع المادة الجامدة، وإنه لا يمكن فهم الموقف البرغسوني في
طرحه لعلاقة اللغة بالفكر إلا من خلال التمييز بين ثابتين: عمل العقل وعمل
الحدس، فالعقل مثلاً يتعامل مع الكائن الحي على أنه ليس كذلك، وهذه هي الطريقة الوحيدة
التي يملكها العقل للتأثير على الأشياء، غير أن هذه الطريقة براغماتية وميكانيكية تلجأ إلى
قتل الحي وتثبيت المتحرك والقضاء على الاتصال، أما الحقيقة فهي متجالية حسب
"برغسون" في عمل الحدس الذي يدرك الديمومة وإذا اعتبرنا اللغة من إبداع العقل فإنها
تصبح وسيلة وأداة خطيرة يستطيع العقل أن يحقق من خلالها عمله النفعي والميكانيكي
ومن ثمة تكون اللغة عاجزة في التعبير عن الديمومة وبالتالي عاجزة عن التعبير عن الفكر
الحدسي المدرك لتلك الديمومة.

يتخذ برغسون من نقده للغة دعامة لإمكانية قيام الميتافيزيقا كعلم وهذا على الضد
من المذهب الوضعي المنطقي الذي يتخذ من التحليل المنطقي للغة سنداً للحدس
الميتافيزيقا لأن هذا المذهب يقرر أن القضايا الميتافيزيقية مستحيلة بحكم قواعد التحليل

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية

المنطقي للغة التي تؤكد أن هذه القضايا لا تصور شيئاً واقعا بمعنى أنه ليس باستطاعة الإنسان تحقيقها متى أراد، وعليه فإن استحالة الميتافيزيقا هي استحالة منطوية.¹

تلك المذاهب التي يكون تحليلها للغة ليس تحليلا متكاملا ما زلت متمسكة بالمفهوم النيوتيني للعلم الذي يقوم بعزل الظاهرة وتتبع مساراتها المختلفة، وصياغة قوانين حركتها صياغة مطلقة.

وكان من شأن طبيعة المذهب هذه إدراك غير سليم لوظيفة اللغة من حيث أن هذا المذهب يقصر على معالجة الوظيفة المنطقية للغة فحسب.

اللغة ليست دلالة قائمة بذاتها، وإنما هي مرتبطة بتلك العمليات الفلسفية الأصيلة التي تدفع بها إلى الوجود، والفيلسوف حين يوجه الصور إلى القراء فإنه يعتبر اللغة سوى مجرد وسيلة للصعود إلى هذه العمليات الفلسفية الأصيلة ونعني بها الرؤية، وعليه فالميتافيزيقا عليها أن تستغني عن الرموز وليس عن الصور.²

د/ الحدس و الوثب الحيوي.

بعد أن اكتشف برغسون الحرية في كتابه "المعطيات" كواقعة تعاش لا كفكرة تثبت، وبعد أن أزاح عن طريقها فكرة الحتمية، وبعد أن بين أن الذاكرة ليست وليدة الدماغ ولا هي مظهر من مظاهر الجهاز العصبي، بمعنى أنها حقيقة بعيدة تماما عن العوامل المادية الخارجية، محتفظا لها بنقاوتها في عالم الروح، يريد "برغسون" في مؤلفه "التطور الخالق" أن يوضح أن الحياة هي الأخرى (مثل الذاكرة) روح محض هي تيار حي، ليس نتيجة المؤثرات والظروف الخارجية التي اعتمد عليها أنصار التطور أمثال "لامارك" و"داروين" و"هربرت سبنسر".

1 مراد وهبة: المذهب في فلسفة برغسون، دار وهران للطباعة والنشر، الإسكندرية-مصر، الط2، 1992، ص66.

2 مراد وهبة: المذهب في فلسفة برغسون، مرجع سابق، ص67.

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية

هؤلاء اعتقدوا أن الحياة تتبع كلها من أصل واحد هو المادة، ولقد تعرضت الحياة عبر تاريخها الطويل إلى عدة تغيرات وتطورات ميكانيكية تحكمت فيها العوامل والظروف الخارجية وأنه يمكن تفسير هذه الحياة بجملة من القوانين الميكانيكية¹.

كذلك نجد النظرية الغائية المتطرفة عند "ليبنتز" التي لا تختلف كثيرا عن النظرية الميكانيكية "الغائية المحضة تشبه المذهب الميكانيكي المحض شبها قويا في معظم النقاط. فكلا المذهبين ينفر من أن يرى خلقا غير متوقع للأشكال في مجرى الأشياء، بل في مجرى الأشياء، بل في مجرد نمو الحياة. فالمذهب الميكانيكي لا يعتبر في الحقيقة الواقعية سوى مظهر التشابه أو التكرار فهو يخضع إذن لهذا القانون القائل بأن الطبيعة لا تحتوي إلا على المثل الذي ينتج المثل"².

يعتبر "برغسون" أن الحياة عملية أساسية أكثر من معرفة، الحياة عملية غير منفصلة متصلة لا تتوقف، نوع من حركة كونية، وهي الواقع الأساسي، نشعر بها في ذواتنا من خلال الخبرة المباشرة الآنية ونشعر بها في الآخرين بسبب التعاطف أو (الحدس) كشعور مباشر بالحياة ذاتها، يختلف بصورة واضحة عن نشاط العقل الذي هو عملية مصطنعة لتمثيل الأشياء بصورة رمزية خارج ذاته، وعلى هذا الأساس يكون العقل أيضا بعيدا عن الواقع الأساسي وأليفا للجمادات التي يفصلها عن التيار المستمر للخبرة والحافز وفي هذا المعنى يذكر "برغسون" "فلما كان عقلنا مركزا على ما يتكرر ولا يهتم إلا بلحم الشيء بمثيله فإنه ينصرف عن رؤية الزمن فهو ينفر من كل ما يسيل ويجمد كل ما يلمس. إننا لا نفكر في الزمان الحقيقي، ولكننا نحياه لأن الحياة تغطي على العقل من كل جانب وأن شعورنا بتطورنا وبتطور جميع الأشياء في الديمومة مائل أمامنا"³

-الوثب الحيوي: L ELAN VITAL-

1 مراد وهبة: المذهب في فلسفة برغسون، مرجع سابق، ص 67.

2 هنري برغسون: التطور الخالق، ترجمة: محمد محمود قاسم، مراجعة نجيب بلدي، مراجعة: نجيب بلدي بسطاوسي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط. د. ت، 49.

3 هنري برغسون، التطور الخالق، مرجع سابق، ص 49-3.50

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية

إن الاندفاعية الحيوية الكلية على مستوى الكون تستمر في مسيرتها وتبقى قائمة وإن الخصائص التي تميزت بها الديمومة من اتصال وذاكرة وحرية وإبداع وإمكانية تنبؤ وكثرة كيفية يمكن أن نصف بها الوثب الحيوي باعتباره الوثبة الأصلية للحياة، هي التي تنقل من جيل إلى جيل آخر جراثيم التوالد عن طريق الكائنات العضوية النامية التي تكون نقطة الاتصال بين تلك الجراثيم.¹

بالتالي "برغسون" عبر عن الاتصال الموجود بين أجيال الكائنات الحية لكنه ليس كالاتصال الذي نراه في الديمومة لأن الديمومة لا علاقة له بالمادة لكن طالما أن المادة تتميز بالانفصال فلا بد أن تطبع بمميزاتا على الكائن الحي، فالحياة هي تلك الرسوم والأشكال التي ينجزها الوثب الحيوي بالاعتماد على المادة كأداة لكن هذه المادة تقاوم فلما نقول مثلا: الفنان تكون الصورة نقية في ذهنه مستقلة عن أي مادة وقابلة لأن تتشكل وتجسد على أي مادة، ولكن المادة تقاوم ولا تعطي الفرصة الكاملة للفنان أن يجسد صورته، ومثل الشاعر الذي تعجز الكلمات عن التعبير عما يجيش بخاطره.

أكد برغسون في كتابه: "المعطيات" أن الديمومة كثرة ولكن هذه كثرة كيفية لا تحتل فكرة العدد، لكن في كتابه "التطور الخالق" برزت كمفهوم كثرة كمية تحتل فكرة العدد بالفعل ولهذا ظهرت التقسمات والتشعبات داخل عالم الكائنات الحية، نتيجة مقاومة المادة وفرضها لخصائص على الوثب الحيوي.²

-الاتجاهات المتباعدة للحياة:

الدفعة الأصلية انقسمت وتشنت فظهرت مراتب مختلفة يعبر عنها النبات بسباته وخموده، والحيوان بغريزته، والإنسان بذكائه وبتعلقه وحدسه.

هناك أولا الانقسام الكبير في عالم نباتي وعالم حيواني وتتراكم الطاقة عند النبات تراكما مباشرا ليقوم الحيوان للنهل منها ليحولها إلى مادة يتفجر منها العمل الحر، والنبات

1 نفس المرجع، ص 105.

مراد وهبة: المذهب في فلسفة برغسون، مرجع سابق، ص 2.92

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية
وعيه ثقيل كونه مرتبط بالأرض ولا يبدأ الوعي إلا في عالم الحيوان ثم تقوم الدفعة الخالقة مرة أخرى بتفريغ نفسها في عالم الحيوان في اتجاهين مختلفين: الاتجاه الأول تصل إلى الاكتمال في عالم الحشرات الاجتماعية مثل النمل والنحل وفي الاتجاه الثاني تصل إلى الاكتمال في النوع الإنساني،¹ وهنا يتضح أن برغسون قد ألغى تلك الاعتبارات التي ترى أن الحياة سلسلة واتجاه واحد يكون النبات في الطابق الأسفل، وفوقه الطابق الحيواني، ويحتل الإنسان الطابق الأعلى.

وعموماً فإن النزعة العامة التي تميز الحياة الحيوانية هي الميل إلى الحركة والقدرة على التحرك، ولما كان الحيوان مضطراً إلى السعي وراء رزقه فإنه يتمتع بشعور أو حساسية تكفل له القدرة على الحركة ونقصد بذلك الغريزة²، أي ملكة استخدام الأدوات أو الأعضاء العضوية بل وخلقها خلقاً، والغريزة تعرف موضوعاتها عن طريق التعاطف ومن الداخل وهي حين تعمل تقوم بذلك من غير خطأ عملاً واثقاً ولكن عملها دائماً على وتيرة واحدة.

في عالم الحيوان تبلغ الغريزة أوجها لدى النمل والنحل، أما العقل فيبلغ أوجه لدى الإنسان إذ يبدأ العقل في النمو في مقابل الغريزة وهو ملكة الصنع الأدوات الغير عضوية والعقل بحكم طبيعته جوهره العميق يتجه ليس إلى الأشياء بل إلى العلاقات لذلك فإنه لا يعرف موضوعاته من الداخل بل من الخارج.

وفي هذا يظهر الحدس أخيراً في الإنسان وإن كان لا يظهر إلا على صورة دفعات سريعة نادرة، وفي الحدس تصبح الغريزة بغير واجب عملي تؤديه وتصير قادرة على التأمل في ذاتها، ومن ناحية أخرى فإن الإنسان حر وهكذا فإن خط التطور سينتهي إلى تحرير الوعي عند الإنسان فيظهر هذا الأخير وكأنه الغاية من تنظيم الحياة على كوكب الأرض.

نفس المرجع، نفس الصفحة.1

مراد وهبة: المذهب في فلسفة برغسون، مرجع سابق، ص 2.93

الفصل الثاني..... الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية



خاتمة

بعد تحليل ومناقشة عناصر وأفكار الإشكالية الأساسية عبر مختلف فصول هذا البحث توصلت إلى مجموعة من النتائج التي أوجزتها في النقاط التالية:

-لقد بدت فلسفة برغسون ضرورة فكرية فندت دعاوى العلم الذي أسس منطقته على اختزالية رقمية لا تعتمد إلا على فعل إجرائي واحد وهو تحويل الحياة نحو الموت وذلك بطريقة واحدة، كما جعلت العقل يتصف بعدم فهم طبيعي للأبعاد الروحانية للإنسانية فالعقل كما تصورته زمنية الحادثة المشرئبة نحو الإجرائية الرقمية لمنهجية العلم لا يتعلق إلا بالصيغة المادية ومقيد بآليات رمزية مسطحة تحجب كل رؤية.

-لقد كان إلاح برغسون على ضرورة تجاوز الصيغ المادية الخالصة في المعرفة دفع إلى اكتشاف سبيل آخر في المعرفة حيث سيتم بوسيلة الحدس الولوج إلى التجربة الباطنية وهي تجربة لها من الخصوصية المميزة بالكيف ما يجعلها تنتمي إلى ما وراء العقل والعلم وكذا التقنية، أي معرفة حدسية تسعى لجعل الأنا العميق هو الحامل للمعاني الفعلية للوجود، باعتباره الحامل الفعلي للحياة إذا ما فهمنا الحياة بأنها ذلك التواصل الزماني المستمر.

قدم برغسون منهج حدسي يركز على طرح إشكالي جديد في الفلسفة مؤسس حسب جيل دولوز في خلق المشكلات وإبداعها أكثر من حلها، أي اهتم بطرح المشكلات طرحا صحيحا من خلال تغيير نظرة الفيلسوف إلى الأشياء والتي هي متمحورة في الغالب على نظرة عملية تسعى في محاولة دعوية لمد جسور الفهم والتألف بين الفكر والواقع إلى نظرة تأملية خالصة في الذات الإنسانية.

تعد محايدة الذات للموضوع في العقل المعرفي الحادث في الديمومة صميم منهج الحدس الذي يتعالى على العقل، متمكنا من ادراك الحقيقة بضرب من التقويم يستطيع المحافظة على الطبيعة الكيفية للموضوعات وبهذه الوسيلة تكون

البرغسونية قد قدمت بديلا يقوم مقام منهج العلم الذي تأسس على عدم التمييز بين طبيعة عيناته المدروسة سواء الكمية منها أو الكيفية.

استخدام برغسون للمنهج الحدسي فتح حقولا جديدة تتجاوز العقل إلى الروح واستطاع أن ينقل الإنسان من ضيق الآلة وتخلصه من سيطرتها فكانت تمجد الروح الحية بحيث أصبحت بهذا فلسفة تنويرية بحق خلافا لما قبلها وكان لها دور كبير في هيكلة الذات الإنسانية وقيادتها نحو تحقيق الاستقلال الذاتي.



حجارتلو رڊطهلا ٽٺاڦ

القرآن الكريم.

أولاً: المصادر

- 1) هنري برغسون التطور الخالق، ترجمة: محمد محمود قاسم، مراجعة: نجيب بلدي، تقديم رمضان بسطاوي وسيم محمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، د.ط، 2006 .
- 2) هنري برغسون: الأعمال الفلسفية الكاملة، ترجمة: سامي الدروبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، مصر، 2008.
- 3) هنري برغسون: الطاقة الروحية، ترجمة علي مقلد، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الط1، 1991.
- 4) هنري برغسون: بحث في المعطيات المباشرة للوعي، ترجمة: حسين الزاوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان، الط2009، 1.
- 5) هنري برغسون: الفكر والواقع المتحرك، ترجمة سامي الدروبي، مطبعة الإنشاء بدمشق.

ثانياً: المراجع

- 1) بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة: عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، العدد 165، الكويت، سبتمبر 1990.
- 2) الجندي محمد: تطبيق المنهج الرياضي في البحث العلمي عند المسلمين، دار الوفاء، المنصورة، الط1
- 3) جيل دولوز: البرغسونية، ترجمة أسامة الحاج، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت — لبنان، ط1، 1997، ص5. _
- 4) حسن حنفي وآخرون: قضايا العلوم الإنسانية اشكالية المنهج، إشراف وتقديم يوسف زيدان، الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، دط، دس.

قائمة المصادر والمراجع.....

- (5) حسن حنفي وآخرون: قضايا العلوم الإنسانية إشكالية المنهج، إشراف وتقديم يوسف زيدان، إشراف وتقديم يوسف زيدان، الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، د.س.
- (6) رنيه ديكارت: مقال عن المنهج، ترجمة، محمود محمد الخضيرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1985، 3.
- (7) رونيه ديكارت: قواعد لتوجيه الفكر، ترجمة سفيان سعدالله، دار سرار للنشر، تونس، د.ط، 2001.
- (8) سماح رافع محمد: المذاهب الفلسفية المعاصرة، مكتبة مدبولي للنشر، ط1، بيروت، 1973.
- (9) صلاح قنصوة: الموضوعية في العلوم الإنسانية عرض نقدي لمناهج البحث، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، 1980.
- (10) عبد الرحمان بدوي: مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1977.
- (11) عبد الغني بارة: الهيرمينوطيقا والفلسفة نحو مشروع عقل تأويلي، الدار العربية للعلوم ناشرون ش ذ م ل، بيروت، لبنان، الط2008، 1م.
- (12) غرمي إسلام: في فلسفة العلوم الإنسانية، مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن، العدد الأول، الكويت، 1977.
- (13) فريدة غيوة: الديمومة عند برغسون، العدد العاشر، قسنطينة.
- (14) لوسيانغولدمان: العلوم الإنسانية والفلسفة، ترجمة: يوسف الاتطكي، مراجعة محمد برادة، المجلس الأعلى للثقافة، الط2، 1996.
- (15) مجموعة من الأكاديميين: موسوعة الفلسفة الغربية المعاصرة العرب، إشراف وتحرير علي عبود المحمداوي، الج1، تقديم علي حرب، دار الرباط، الجزائر، ط1، 1984.

قائمة المصادر والمراجع.....

16) محمد محمد أمزيان : منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، الط1، 1991.

17) محمد وقيدي، العلوم الإنسانية والايديولوجيا، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الط1، 1983.

18) محمود سيد أحمد: دلتي وفلسفة الحياة، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الط2، 2005.

19) مراد وهبة: المذهب في فلسفة برغسون، دار وهران للطباعة والنشر، الإسكندرية-مصر، الط2، 1992.

20) النشار سامي: منهاج البحث عند مفكري الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، الط3، 1984.

21) نورة بوحناش: إشكالية القيم في فلسفة برغسون، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، الط1، 2010.

22) ه.ب. ريكمان: منهج جديد للدراسات الإنسانية، محاولة فلسفية، ترجمة علي عبد المعطي و محمد علي محمد مكتبة مكاوي، بيروت - لبنان، ط1، 1979.

23) و.أ. بقرديج، فن البحث العلمي، ترجمة زكري فهمي، ط5، دار اقرأ، بيروت لبنان، 1986.

24) ويل دورانت: قصة الفلسفة من (من أفلاطون إلى جون ديوي)، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، منشورات مكتبة المعارف، الط6، بيروت، 1988.

25) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف القاهرة-مصر، الط5، 1119م.

ثالثاً: المعاجم والموسوعات.

قائمة المصادر والمراجع.....

- (1) ابن منظور: لسان العرب، ج2، دار صادر، ط1، بيروت – لبنان، د. ت.
- (2) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية اسطنبول – تركيا، د. ت.
- (3) عبد المنعم حنفي: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط3، الناشر مكتبة مدبولي القاهرة، مصر، 2000.
- (4) عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، د. ت.
- (5) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت – لبنان، د. ط، 1982.
- (6) إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاصرة — مصر، 1983.
- (7) أندري لالا ند: الموسوعة الفلسفية، ترجمة، خليل أحمد خليل، ج2، مادة: حدس، منشورات عويدات، بيروت – لبنان، ط2، 2001.
- (8) جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية، دار الجنوب، تونس، دط، 2001.

رابعاً: الرسائل الجامعية

- (1) براشد بخدة: مذكرة ماجستير في فلسفة القيم في الفكر الغربي الحديث والمعاصر بعنوان الأخلاق والدين في فلسفة هنري برغسون، تحت إشراف بشيبة محمد، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، 2003-2004.

خامساً: المجلات والدوريات

- (1) خيرة بورنان: الفلسفة الحديثة وسؤال المنهج، مجلة مقاربات، العدد 32، جوان 2018 .
- (2) خيرة بورنان: اتجاهات ومناهج البحث في العلوم الإنسانية، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، العدد 30، 2013، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار – الجزائر.

سادسا: الويبوغرافيا

(1) العربي ميلود: المنهج في الفلسفة وإمكانية التجاوز البرغسوني، مقال منشور في مجلة الكلمة نت، في شبكة الأنترنت <http://www.kalema.net/v1>.



فهرس الموضوعات

	الإهداء.....
	شكر وعرفان.....
أ-ج	مقدمة.....
	الفصل الأول: العلوم الإنسانية ومشكلة المنهج....
5	أولاً: ماهية المنهج.....
13	ثانياً: العلوم الإنسانية المفهوم والنشأة.....
24	ثالثاً: العلوم الإنسانية والصراع المنهجي.....
	الفصل الثاني: الحدس كمنهج في فهم الوقائع الإنسانية.....
31	أولاً: مفهوم الحدس.....
33	ثانياً: طبيعة الحدس عند برغسون.....
43	ثالثاً: قواعد المنهج الحدسي.....
47	رابعاً: الحدس وبيكولوجيا الأعماق.....
61	خاتمة.....
63	قائمة المصادر والمراجع.....
69	فهرس الموضوعات.....

